20 me. année No 976

Le Caire 17 — 3 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٧٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١ — ١٧ مارس سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

الطريق إلى الكتلة الثالثة

للأستاذ سيد قطب

يسألنى الكثيرون منذ دعوت إلى قيام الكتلة الثالثة : ما الطريق إلى قيام الكتلة الثالثة ؟ وحينما كنت أحاضر عن هذا الموضوع فى دار اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى منذ أسبوعين ، استوقفنى بعض الشباب بعد نهاية المحاضرة ليبدى لى تخاوفه أن تكون العقبات التى فى الطريق أكبر من الإمكانيات .. ثم أرسل إلى بعضهم يسألنى تفصيل ما أجملت فى هذه المحاضرة

من بين هذه الرسائل رسالة للشاب الأديب « أحمد محمد أبو بكر الطالب السودانى بمعهد القاهرة » وقد جاء فيها :

« ... إنه لمن حسن الطالع أن نستمع إلى محاضرتك القيمة بنادى اللجنة العليا للحزب الوطنى وقد استطعنا أن نقف على أسباب تفرقة العالم الإسلامى ، وأن نقف كذلك على حقيقة ما تضمره لنا كل من الكتلتين الشرقية والغربية من سوء . ولكننا مع ذلك كله لا نزال نطلب منك أن تبين لنا على صفحات الرسالة الغراء ما يستطيع المسلمون على ضوئه أن يوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم لكى يكونوا كتلة ثالثة ... الخ »

هذه الرسالة وأمثالها كثير تدل على استعداد معين عند الكثيرين من الشبان للاستماع إلى مثل هذه الفكرة والاقتناع بها ، بل تدل على أكثر من هذا .. تدل على اللهفة الحقيقية لتحقيق هذا التكتل الإسلامى الذى آن له الأوان

ولقد كنت أعرف عندما دعوت هذه الدعوة أن العقبات فى طريقها شتى . ولكنى كنت أومن كذلك أنها دعوة طبيعية ، تنبع قوتها من تلبيتها لطبائع الأشياء ، ولحاجة العصر ، ولاتجاه المستقبل . وأن دوافعها أكبر من معوقاتها ، مهما بدت هذه المعوقات من الضخامة والمناعة .. إن كل دعوة تتفق مع طبائع الأشياء ، وتنبع من حاجة العصر ، وتسير مع اتجاه المستقبل ، هى دعوة ناجحة غالبة مهما يقم فى طريقها من عقبات

هذا المعنى أحب أن أؤكده أولا لشبابنا المتلهف على تحقيق هذه الفكرة ، المشفق فى الوقت ذاته من ضخامة العقبات ، ومن موحيات اليأس ، ومن عقابيل الماضى . . ومتى ثبت فى الضمائر إيمان معين بالفكرة ، فكل شىء بعد ذلك هين ، وكل عقدة حلها ميسور

والذين عاشوا مثلى فى ربع القرن الأخير ، قد تلوح لهم بشائر الأمل أقوى وأضخم من الشباب اليافع الذى لم يشهد ذلك الماضى . . إن هذا الشباب بطبيعته عجول لأن الطاقة الكامنة فى كيانه تريد لها متصرفا سريعا . وهو ينظر فيرى

عقبات جمة ، ولكنه لا يعرف أن العقبات فى الماضى كانت أضعاف ما هى اليوم ، فتذاوبت شيئا فشيئا ، بحيث لا تقاس اليوم إلى ما كانت عليه منذ ربع قرن فقط . أما الذين عاصروا تلك الفترة الماضية مثلى ، فيعلمون أننا قطعنا شوطا بعيدا جدا فى ذلك الزمن الوجيز

إن أقصى ما تلاقيه فكرة التكتل الإسلامى اليوم من سوء استقبال ، هو أن يتشكك بعض الناس فى إمكان تحقيقها فى فترة قصيرة ، ويروا الكثير من العقبات فى طريقها ، ويشفقوا من ضخامة هذه العقبات .. أما قبل ربع قرن فقط فقد كان التفكير — لا فى قيام كتلة إسلامية ضخمة بل فى قيام كتلة غربية صغيرة — مدعاة للسخرية ، بل مدعاة للتشكك فى عقول من ينادون بها ، واعتبارهم جماعة ممن فى عقولهم مس ، فهم يعيشون فى الماضى ، ولا أمل فيهم لأنهم مخرفون !

لا بل إن قيام « رابطة شرقية » لا إسلامية كان باقى مثل هذا الهزء ومثل هذه السخرية إلى عهد قريب جد قريب .. فها هو ذا رجل واسع الأفق مثل الدكتور طه حسين باشا يؤلف كتابه : « مستقبل الثقافة » فى سنة ١٩٣٦ فيسخر فيه من تلك الفكرة سخرية مريرة ، ولا يكاد عجبه ينقضى من تلك الجماعة التى كانت تسمى نفسها « الرابطة الشرقية » لأن مصر قطعة من حوض البحر الأبيض المتوسط ، ولا علاقة لها بذلك الشرق البعيد مسلما كان أو غير مسلم .. فالإسلام وغير الإسلام لا يملك أن يقيم رابطة بين مصر وهذه الشعوب !

كان هذا منذ خمسة عشر عاما فقط .. فإذا نحن قسنا تلك الوثبة الفكرية والشعورية الهائلة التى علي علينا اليوم أن نتحدث عن الكتلة الإسلامية ، أو عن الكتلة الشرقية ، فلا يسخر بنا أحد ، ولا يضحك منا أحد . بل تنبعث ملايين القلوب تخفق للفكرة ، وتنبعث عشرات الأقلام تكتب عنها فى كل مكان . وتنبعث مئات الأكف وألوفها تصفق للخطباء .. ولا يتحدث متحدث إلا بالسؤال عن الطريق .. إذا تم هذا فى خلال خمسة عشر عاما فقط فهو النصر إذن وهو التوفيق

ولماذا ؟ إن هذا النصر لا ينبع من بلاغة الأقلام التى تكتب ، ولا من فصاحة الألسنة التى تخطب .. إنما ينبع أولا وقبل كل شئ من تلبية الفكرة لطبائع الأشياء ، ومن مسايرتها لحاجة العصر ، ومن تمشيها مع إرادة المستقبل .. وذلك هو الضمان الأكيد ..

ستسير الفكرة إذن فى طريق التحقيق منذ اليوم ، حتى ولو لم يدع إليها قلم متحمس أو لسان متدفق . ستسير لأن الشعوب الإسلامية مضطرة اضطرارا لأن تعمل على تحقيقها كوسيلة من وسائل الخلاص من الاستعمار ، ولإنقاذ العالم من حرب ثالثة قريبة فى ذات الأوان

وستسير الفكرة لأنها تلبية للاتجاه العالمى للتكتل . لا باسم القوميات والجنسيات ، بل باسم المبادئ والعقائد . والعالم كله يسير فى هذا الاتجاه الآن شرقا وغربا . فاتجاه المسلمين إذن إلى التكتل تحت عنوان فكرة ومبدأ هو الاتجاه الطبيعى للعالم كله ، ومن ثم فهو الاتجاه الطبيعى فى هذه الظروف

إننى أعرف : أن الاستعمار سيقف فى الطريق . وأعرف أن الكتلة الشرقية ستقف لنا فى الطريق . وأعرف أن الحكام فى كثير من أمم العالم الإسلامى سيقفون فى الطريق . ولكننى أعلم كذلك أن هذه القوى كلها مصطنعة ، فهى لا تملك أن تقف طويلا أمام فكرة طبيعية ، تستمد قوتها من طبائع الأشياء ، ومن حاجة العصر ، ومن نداء المستقبل فى العالم كله ، لا فى بقعة منه محدودة

ومن الظواهر العجيبة أن الفكرة التى تنبع من حاجة العصر واتجاه المستقبل يضطر خصومها — بحكم مصالحهم القريبة وتحت ضغط الضرورات الثانية — إلى مساعدتها وتقويتها ، كالذى يربى أسدا يعرف أنه سيفترسه فى النهاية ، ولكنه يضطر مع هذا إلى تربيته لأنه يتقى به نمرا فاغرا فاه !

لقد كان الحلفاء هم الذين هزموا ألمانيا فى الحرب العظمى الأولى . وكانوا هم الذين ساعدوها على النهوض ، وساعدوا معها إيطاليا ، وساعدوا معها اليابان أيضا .. لم يكن شئ من هذا حبا فى عيون أحد من هؤلاء . ولكنها كانت ضرورات المصلحة العاجلة لوقف التيار الشيوعى فى العالم

ثم حطموا هذه الدول الثلاث فى الحرب العظمى الثانية .

وفى سبيل تحطيمها اضطروا اضطرارا لتقوية روسيا ومساعدتها على الصمود فى وجه الغول الجرمانى .. وهم على يقين أن عدوهم الأول هو روسيا . ولـكنهم ما كادوا يملـكون أن يفعلوا غير هذا .. ثم هاهم أولاء مرة أخرى . وبعد التجربة العالمية الأولى . يمدون أيديهم مرغمين لإنهاض ألمانيا واليابان . وهم على يقين أن الطاقة الكامنة فى هذين الشعبين لن تتركهم فى راحة ، ولكنهم لا يملكون أن يفعلوا غير هذا .. إن خط سير الحياة ليس فى يد أحد من البشر مهما تكن قوته . فالحيـاة تسير ، وطبـائع الأشياء تملى خط سيرها . والقوى الـكامنة الناهضة لا سبيل للقضاء عليها . لأنها قوة من قوى الحياة ، وقوة الحياة من الله . «والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لايعلمون»

إن فكرة الـكتلة الإسلاميه تسير فى طريقها . وإنى لأكاد أراها رأى العين حقيقة واقعة . فليؤمن شباب العالم الإسلامى بهذا .. والزمن كفيل باكتساح العقبات التى تبدو لهم ضخمة فى الطريق

ليؤمن شباب العالم الإسلامى كله أن الاتجاه إلى راية الإسلام هو العمل الوحيد الذى يخلصهم من براثن الاستعمار ، ويخلصهم من كيد الشيوعية التى لا تكاد تطيق مسلما يدب على الأرض

فإذا آمن الشباب بهذه الفـكرة اندفع يضغط على ساسة بلاده ، الذين يسيرهم الاستعمار فى ركابه ، ويملى عليهم رغبته فى التكتل الإسلامى . ولتكن كلمة الشباب دائما : لا ارتباط بكتلة شرقية أو كتلة غربية . فهذه الأرض أرضنا . ونحن نريد أن نقف تحت راية الإسـلام وحدها ، محايدين ، نجـاهد فقط من يعتدى علينا ، ونمد يدينـا حينئذ إلى الـكتلة التى تنصرنا على المعتدين

وواجب على كل شـاب واع أن ينشر هذه الفـكرة حيثما وجد . الطالب فى معهده ، والموظف فى مكتبه . والسياسى فى محيطه . والعامل فى مصنعه . والرجل فى بيته وأولاده .. وعندما تصبح هذه الفكرة هى فكرة الشعب . فإن قوة ما على ظهر هذه الأرض لن تقف له فى طريق ..

لن أقول لهذا الشاب الأديب صاحب تلك الرسـالة ، ولا لأحد من إخوانه الذين كتبوا إلى كثيرا فى هذا الموضوع شيئا عن الوسـائل السياسية أو الدبلوماسية أو العسـكرية .. إننى لا أومن بشئ من هذا كله . لست أومن إلا بالقلب الإنسـانى والعزيمة البشرية . إننى أومن بالعقيدة التى تزلزل الجبـال ، وتجرف الصخور . أومن بالوعى الشعبى الذى يفرض إرادته . أومن بتلك الملايين بعد الملايين فى الرقعة الإسلامية الفسيحة .. وأومن بالفد وإشـاراته . وأومن بمقرب السـاعة الذى يشير إلى هذا الاتجـاه وحده . . وأومن قبل كل شئ بالله الذى نفخ الروح مرة أخرى فى هذا العالم الإسلامي الذى حسب الكثيرون أنه قد مات . فإذا هو يتمطى وينبعث ، ليؤدى دوره فى الأرض من جديد

سيد قطب

عمر الخيـــام
بين الحقيقة والاسطورة

للأستاذ السيد أحمد مصطفى الخطيب

صحبتى للخيام طويلة مديدة ، وقد عرفتـه ضمن من عرفتهم من شعراء الفرس الكبار وأدبائهم العظام منذ عشرين سنـة تقريباً ... أما هو فقد كان على الدوام أقرب إلى نفسى وأحب إلى قلبى ... أما هم فقد كانوا أشغل لفكرى وأدنى إلى إثارة اهتمامى بشعرهم منه . والخيـام عاطفة وروح ، وللعاطفة والروح سحرهما الذى لا يدفع ، وسلطانهما الذى لا يقهر على العواطف والأرواح ، فلهـذا إن كنت قد عرفت الفردوسى عن طريق الشاهنامة ، والسعدى عن طريق كلستان وبوستان ، وحافظاً الشيرازى عن طريق ديوانه الرائع ، ومولانا جـلال الدين الرومى عن طريق المثنوى ، والنظامى عن طريق هفت بيكر ، وعرفت غير هؤلاء أيضاً عن طريق بعض ما كتبوا أو بعض ما كتب عنهم ، فقد عرفت الخيـام عن طريق رباعياته نفسها ثم عن طريق وديع البستانى ، وحسين دانش ، وعبد الله جودت ، وحسين رفعت ، ومحمد السباعى ، وأحمد حامد الصراف ، وأحمـد الصافى النجفى ، والزهاوى ، وفيتز جرالد وغير فيتز جرالد من الغربيين ، وأخيراً الفيلسوف رضا توفيق

لهذا ، عندما استقر رأيى على إعداد هذه الكلمة تملكتنى الحيرة فى بادئ الأمر أى الجوانب أفصح عنها ؟ وأى النواحى أهملها ؟ وكل جانب من جوانب حياة الخيام لذيذ شائق ، وكل ناحية من نواحى أدبه الرفيع فاتنـة مغرية ، تستمرئها النفوس وتشتاقها الأرواح ، حتى انتهيت بعد لأى إلى أن يقتصر كلامى على ناحية واحدة فقط من حياته ، وهى ناحية عدد من الأساطير والخرافات التى تحيط بسيرة هذا الشاعر الإنسانى العظيم ...

الأسطورة الاولى

أعتقد أنه ليس بين الذين لفتت مكانة الخيام العلمية أنظارهم ، أو أثارت رباعياته اهتمامهم؛ من لم يسمع شيئاً قليلا أو كثيرا عن تلك القصة الشائقة التى ذاعت وشاعت وتناقلتها الألسن فى كل مكان من نشأة الخيـام ، ومن حياة تلمذته الأولى فى نيسابور المدينة التى فتح فيها شاعرنا عينيه للحياة لأول مرة فى هـذا الوجود ، وهى قصة شيقة لذيذة يغلب عليها عنصر الخيال الجامح، فيجعلها ضوءاً للروايات السينمائية التى تمثل أدوارها على الشاشة اليوم

نحن فى مدرسة نيسابور الشهيرة ... الزمن القرن الخامس الهجرى ؟ .. نستمع إلى العـلامة الجليل الأستاذ الإمام الشيخ موفق النيسابورى رحمة الله عليه وهو يلقى درسه على طلابه الذين أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، وهنـاك فى ركن قصى من الأركان جلس ثلاثة من هؤلاء التلاميـذ واتجهوا بكليتهم نحو أستاذهم الأكبر، يشع من عيونهم بريق الذكاء الحاد، وتبدو على سيماهم علائم الجد والعزم ، هؤلاء هم الأصدقاء الثلاثة الأوفياء : عمر الخيام، نظام الملك ، حسن الصباح زعيم الحشاشين فيما بعد..

قال حسن الصباح ذات يوم لصديقيه إنه لأمر مستحيل أن نخيب نحن الثلاثة تلامذة الإمام المبارك فى الحياة ، قد يلاحق أحدنا ، أو حتى كلينا الإخفاق ، أما أن يلاحقنا هو كلنا..فلا ! فلنتعاهد أنفسنا منذ الآن أمام الله على أن يهرع أى منا لنجدة زميليه إن قدر له الفوز ولم يكتب لهما النجاح ، فيوافقه الآخران على رأيه فتوقع بذلك الوثيقة التاريخية بين الثلاثة جميعا

تدور عجلة الزمان ، وإذا بنظام الملك وزير لألب أرسلان السلجوقى ، ورجل الدولة الأوحد لابنه ملكشاه من بعده ، ثم إذا به أيضا لا ينسى ما قطعه على نفسه من وعد فى صباه فيبعث فى طلب كل من حسن الصباح والخيام ويعرض عليهما أن يشاركاه فيما فاز به من نعمة وحصل عليه من سلطان . أما الخيام فيختار إيراداً سنويا ثابتاً والتدريس فى مدرسة نيسابور والانصراف إلى رياضياته وفلكياته، أما حسن الصباح فيؤثر منصبا مهما فى البلاط

وهـكذا تستمر القصة حتى تبلغ نهايتها المحتومة ، بمؤامرة دنيئة ينسج خيوطها حسن الصبـــاح الماكر لاغتيال صديقه الوفى الكريم نظام الملك ظلما وعـدوانا لكى يستخلفه فى جاهه وسلطانه ، فيفتضح أمرها فى اللحظة الأخيرة، ويضطر حسن الصباح إلى الهرب واللجوء إلى جبل قلعة الموت، وهنالك يؤسس لأول مرة فى التاريخ المذهب الإسماعيلى المعروف حتى اليوم ، وينظم فرقة الفـدائيين الذين يبعث بهم من هناك

لاغتيال عظماء الإسلام آنذاك . ويشاء القدر الساخر أن يكون بين هؤلاء الذين عُقد إليهم يد الغدر والخيانة نظام الملك نفسه ! ذلك الشيخ الوقور والداهية العظيم الذي يذهب ضحية باردة لخنجر مسموم يغمده في صدره أحد هؤلاء الجانين وهو في طريقه إلى نهاوند بمعية الملك ملكشاه.

هذه هي الأسطورة الأولى الذائعة الشائعة المستقرة في الأذهان عن منشأ الخيام وعن أيام حداثته ، وهي قصة أثبت المستشرقون استنادا إلى تحقيقاتهم الدقيقة التي لا مجال لذكرها هنا إثباتا قاطعا أنها مختلقة من أساسها ملفقة في جلتها وتفصيلها، ولا ظل لها من الحقيقة أبداً، وأن مخترعها مؤرخ يدعى ميرخوند من مؤرخي القرن التاسع الهجري

الأسطورة الثانية

يوم مشرق جميل ، جو عابق بأنفاس الرياحين والورود ؛ هدوء شامل وصمت مطبق لا يتخللها سوى خرير الماء وتغريد البلابل.. والخيام قرير العين جذلان ، جالس في دعة وسكون وأمامه ديوان شعر مفتوح وبجانبه زجاجة و كؤوس تأتلق بين جنباتها الأضواء وتتراقص على حواشيها الظلال

ومقامي غصن مظل بقفر
ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والأهل ديوان شعر
وحبيب بهواه قلبي المعنى
بشجي يذيبني يتغنى
هكذا أسكن القفار نعيما
وأرى هذه القصور خرابا ...

(السباعية للبستاني)

وعلى حين فجأة تنكشف الطبيعة الوادعة الهانئة عن ثورة جامحة ، وغضب مكتوم ، فتزمجر الرعود ، وتنقض الصواعق ، وتكتسح الرياح الهوج كل شيء أمامها فتتحطم الزجاجة وتتناثر قطع الكؤوس هنا وهناك وتصبغ الخمرة وجه الأديم بلونها اللازوردي ، فتثور نفس الخيام ، وتهيجه النازلة ، ويلهبه اليأس فينشد وهو في شبه غيبوبة من أثر الصدمة الغير المرتقبة، ويقول:

ابرين مي مراشكستى ربى
كسرت زجاجة خمري ياربي
برمن ورعيش رابيستى ربى
أوصدت في وجهي باب الطرب ياربي
برخاك فكندى من كلكون مرا
سكبت خمري الوردية على الثرى
خاكم بدهن مكر تومستى ربى
التراب بفمي ! فهل أنت سكران ياربي

* * *

وهنا تحدث المعجزة التي لم يكن يتوقعها أحد حتى الشاعر نفسه ، فيحل غضب الباري سبحانه وتعالى وتنصب نقمته على هذا العبد المارق الملحد فيسود وجهه بغتة وكأنه فحمة الليل ، وتتشنج عضلاته وتتقلص أطرافه حتى ليكاد الموت يختطفه من بين يدي الحياة

فيدرك الشاعر عندئذ الإثم الكبير الذي ارتكبه فيسرع إلى التوبة ويعجل بالاستغفار فينشد ويقول :

نا كرده كناه درجهان كيست بكو
بي جرم كناه جون توان زيست بكو
من بد كنم توبد مكافات كنى
بس فرق ميان من توجيست بكو

— الترجمة للزهاوي —

من الذي لم يجن قط ذنبا
كيف عاش الذي زكا وتوقى
إن تكافُ سوئي بسوء فقل لي
أي فرق بيني وبينك يبقى

وعلى أثر ذلك تدركه العناية الإلهية ، وتقبل توبته ، فيعود إلى وجهه إشراقه السابق وإلى سائر أعضائه حالتها الطبيعية ، فيسجد الخيام آنذاك سجدة الشكر والامتنان

هذه ثانية الأساطير التي تنسب إلى الخيام وعمر بن إبراهيم منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب . وإذا كانت التحقيقات العلمية لم تكشف لنا بعد عن اسم المختلق الكذاب واضع هذه الفرية الشائعة، إلا أننا لا نحتاج كما أعتقد إلى كبير جهد لندرك أن الأفاك الأثر كان ولا بد على حظ موفور من الوقاحة وسعة الخيال

البقية في العدد القادم

السيد أحمد مصطفى الخطيب
مفتش معارف أربيل بالعراق

بعد عشرين قرنا

حضارة عربية
تنكشف عنها الرمال

للأستاذ وندل فيلبس
رئيس البعثة الأثرية الأمريكية

كانت ليلتنا الأولى بين عرب وادى بيحان فى عدن تبدو فى ظاهرها كأنما انتزعت مباشرة من دنيا ألف ليلة وليلة . فما كانت هوليود ذاتها مستطيعة أن تفعل خيرا مما فعله مضيفنا الشريف حسين بن أحمد حاكم بيحان . لقد جلسنا متربعين فى باحة القصر نشاهد الراقصات الغجريات اللواتى خلبن ألبابنا بحركاتهن الرتيبة المثيرة فى أضواء الشموع المرتعشة ، بينما كانت الطبول تملأ الظلمة بأصدائها الخافتة ، وأنغام الناى تنساب حلوة ناعمة

وكان يهيمن علينا جو من أجواء الأساطير . فأنت تحس فيه بنكهة الخيال ، وطعم الخطر ، فقد قام على مقربة منا مئتان من الحرس القبليين اليقظين ، كالحى الوجوه ، يحملون جنبياتهم « خناجرهم » الكبيرة فى مناطقهم المنتفخة بالرصاص ، ويتنكبون بنادقهم المهشمة تسندها سواعدهم المعروقة التى كانت تبدو واضحة من بين أسمالهم الصحراوية الممزقة

كنا نعرف ما يتصف به بدو الجنوب فى الجزيرة العربية من الخطر ، وما هم عليه من كره شديد ، يذكيه ما فى الإسلام من حماسة وحمية ، لكل من يتطفل على بلادهم من الأجانب . كما كنا نعرف عن المحاولات التى سبق وقوعها على حياة الشريف حسين . ولكن هؤلاء الحراس ، مع استعدادهم لكل ما قد تنشق عنه الصحراء من الأخطار ، كانوا يتابعون الراقصات بأبصارهم . وقد استطعت وأنا أتطلع حولى دهشا لذلك المنظر ، أن أشاهد أسنانهم البراقة وهم يبسمون لبعضهم ، ويلكز بعضهم بعضا ، عندما تمر إحداهن على مقربة منهم

وكان الشريف حسين ، وهو من أطول وأجمل من رأيت من العرب ، يبتسم هو أيضا ، ويلوح لى بيده ، إشارة على أنه يود الحديث معى بوصفى قائدا للبعثة ، كان يجلس فى مقابلتى موليا ظهره للفتيات اللواتى طالما رقصن من قبل لتسليته ، وكان الدكتور و . أولبرايت W. Albright رئيس أثريى البعثة ومترجمها بجانبى ، وهو يتكلم خمسا وعشرين لغة ، فوكزته ، فأومأ إلى الشريف حسين ، فرد هذا مرحبا بقوله : « أهلا و سهلا » وكأنما لم يقلها لنا من قبل ، مع أنى أصبحت أعرف بأن معناها : « مرحبا بكم وطاب مرعاكم » فرد عليه العلامة أولبرايت تحيته

كان الشريف حسين ، الأريحى المرح ، الذى بهرته قافلتنا الميكانيكية ، قد أبدى لنا منتهى الكرم ، كأنما كنا الرئيس ترومان ووزراءه . إن وصولنا ذات مساء إلى وادى بيحان ، بعد رحلة طويلة مضنية ، من خليج عدن ، حدث من الأحداث الكبرى فى تاريخ وادى بيحان الحديث . فقد كنا أول جماعة من الأميركان تقع عليهم أعين البيحانيين . لقد جئنا ، نحن الخمسة عشر ، لإزاحة الغطاء عن حضارة تعرف بالقطبان ، قامت على عبادة القمر ، ثم انقرضت قبل ٢٠٠٠ سنة ، بعد كارثة لا بد وأن تكون قد هزت العالم العربى القديم من أساسه

تلك الكارثة هى خراب « تمنا » ، عاصمة القطبان القديمة . فمنذ ذلك الحين أسدل الصمت ستارا كثيفا من النسيان على تاريخ الوادى ، حتى أن سكانه المعاصرين ، ليست لديهم أية فكرة عن أسلافهم المدهشين ، الذين عملوا على إشادة طريق البهارات فى أيام التوراة ، وعلى تحويل هذه الأراضى القاحلة إلى ما يشبه الدوريدو (١) El Dorado فى الأعصر الغابرة

لم أتأثر قط فى سنى التسع والعشرين ، كما تأثرت هذه المرة ، فإن زيارة وادى بيحان النائى الذى يكاد يكون مجهولا جهلا تاما ، كانت هدفى منذ سنين . ولكنى كنت وأنا أقابل ابتسامة

(١) بلاد أسطورية ، كان طلاب الثروة يتهافتون على البحث عنها فى أمريكا الجنوبية . ويعود أصل الأسطورة إلى ما كان يروى عن أحد زعماء الهنود الحمر من أنه كان يعفر جسمه بمسحوق الذهب فى الاحتفالات السنوية . وقد تمخضت هذه الأسطورة فأدت إلى الاعتقاد بوجود مدينة واسعة الثراء فى أمريكا الجنوبية ، مما كان باعثا على إرسال عدد عظيم من البعثات الاستكشافية للبحث عنها . وتطلق كلمة « الدوريدو » الآن لوصف بقعة من البقاع بالرخاء والازدهار والغنى

الشريف حسين عثابها ، أحس بالسعادة تغمر كياني لوجودي في وادي بيحان ، كما أحس بالألم للحالة السيئة التي تدهور إليها بيحانيون. لقد عاشت ملكة سبأ على مقربة من هذا المكان يوماما، ولا بد وأنها مرت بهذه الرمال مرارا عندما كانت حقولا نضرة غنية بالمياه

لقد أعادني التفكير في الملكة التي أمطرت الملك سليمان بالهدايا — كما تقول التوراة — والتي يشك بعض العلماء في وجودها ، إلى حاضري أمام الراقصات النجريات . لابد أنها كانت تبدو مثلهن ، فقد جاءت كما جئن من مكان يسمى سبأ ، وهو جزء يقع اليوم في اليمن . إن هؤلاء النجريات، سمر البشرة، متناسقات الأعضاء ، مشجرات المآزر والقمصان ، وإن يكن تفصيلها غير متقن في أذواقنا

كانت كل منهن تتحلى بـ ٥٠ رطلا من الحلى الفضية حول رقبتها ، ومعصميها ، وساقيها . ولا أدري كيف استطعن تحمل ذلك كله ، ولكن رقصهن استمر متزنا زهاء ساعتين

كان الرقص في بادئ الأمر رائعا ، فأيديهن رشيقة ، وحركات أردافهن تستلفت الأنظار ، وقد صفقنا لهن مرارا . ثم أخذن في الاقتراب منا شيئا فشيئا . أثناء انسيابهن في باحة القصر . وإني لأتذكر كيف مال جورج فرير مساعدي ، البالغ من العمر التاسعة عشرة بجسمه نحوي ثم أخذ يصفر في هدوء

ثم بدأ اهتمامي يزول . ولعل مرد ذلك عائد لاطراد الرقص على نسق واحد رتيب ، أو للاعياء الذي انتابني ، ولكن السبب الرئيسي هو أن إحدى الفتيات انحنت أمامي حتى شممت شعرها . إن البدويات يستعملن بول الإبل لتجميد غدائرهن ، فما كدت أن هؤلاء النجريات لا يخرجن على تلك القاعدة . فلذلك تلاشى تأثيرهن ، وما انتهى العرض حتى لم يبق مما يثير الإعجاب سوى جلد الراقصات — وجلدنا

كانت أعمار الراقصات الأربع تتراوح ما بين الثانية عشرة والثلاثين تقريبا . وقد قال لي الشريف حسين إنهن غادرن اليمن لأن الحكومة تأبى عليهن الرقص مع الرجال ، وتعارض في ممارستهن بعض الملهى الأخرى التي يقمن بها بغية الكسب .

إن مثلهن كمثل الومسات في الصحراء في تهافتهن على المال — قل أم كثر

إن البون شاسع بين بول الإبل ، وبين اللبان والمر اللذين كانا يبثان في سماء بيحان جوا من السحر . لقد سجل ديونيسيوس Dionysius الكاتب اليوناني ، ثناءه على البلاد حوالى عام ٩٠ بعد الميلاد ، في الوقت الذي كان يكتب فيه إنجيل يوحنا . فقال

« إنك لا تتنفس في « العربية السعيدة » غير أريج اللبان أو المر من البهارات العطرة . وإن لأهلها قطعانا عظيمة من الضأن تتغذى بما في مراعيها من العشب والكلأ ، وإن الطير تهوى إليها من الجزائر النائية تحمل إليها أوراق القرفة . »

قامت اقتصاديات أربع من الممالك الهامة على ما كانت تدره قوافل البخور في جنوب الجزيرة العربية من الثراء زهاء الفين من السنين فقد كانت القوافل تنساب في مهل من غابة البخور في حضرموت ، متجهة نحو الشمال على طول الجزيرة ، وهي تقدم في طريقها الأتاوة ، والحماية ، لعدد لا يحصى من القبائل ، ثم تعود محملة بالذهب ، والفضة ، من مصر واليونان وروما ، كما ذهبت محملة بالبخور والبهارات . فقد كانت هذه البلدان تتبوأ المكان الأسمى بين بلدان سواحل البحر الأبيض المتوسط

لقد أقلق تدفق الأموال من الإمبراطورية الرومانية رجال الاقتصاد فيها ، فجأروا بالشكوى من أن « العربية السعيدة » لسوء الحظ ، هي السبب في ارتفاع أسعار الذهب . وفي تدهور قيمة العملة المتداولة . وكانت قصص المدن الخرافية والأضرحة المليئة بالذهب في « العربية السعيدة » تدور على الألسنة . ولكن أحدا لم يجد في نفسه الجرأة الكافية على إثارة العرب وإغضابهم

وقد حاول الإمبراطور أغسطس قيصر أن يتحقق من صدق القصص التي كانت تروى عن رعاة الإبل من العرب ، فبعث إيليوس غالوس Aelius Gallus أحد قواده إلى «العربية السعيدة» فسار حتى مأرب ، ولكن ضريبة الحر ، والمرض ، ومعارك الصحراء ، كلفته جيشا تعداده ١٠٠٠٠ جندي ، لم ينج من الهلاك منهم إلا قليلون

كانت مأرب عاصمة سبأ ، أو شبأ ، كما تسميها التوراة . وكانت سبأ إحدى ممالك البهار الأربع ، أما الثلاث الأخرى فهى معين ، وحضر موت ، وقطبان. وكان هدف بعثتنا جغرافيا، هو الوصول إلى وادى بحيان ، قلب القطبان وعاصمتها تمنا

كانت سبأ ومعين تحتلان بقعة من الأرض هى الآن اليمن ، وجزء من البلاد السعودية ، والجزء الغربى من محمية عدن — وبوجه التقريب ، وادى حضر موت المظلم . وعلينا للوصول إلى بحيان الذى يقع خلف أشد جبال الزاوية الجنوبية الغربية من جزيرة العرب وعورة ، أن نجتاز الجزء الشرقى والغربى من وادى حضر موت — وسرعان ما عرفنا لماذا يسميه سفر التكوين فى التوراة » بدار الموت . «

كنا نستمع ، من حين إلى حين ، إلى قصص الفتك بين العرب بينما كانت سياراتنا تقعقع فوق ما يسمى تجوزا بالطريق ، وسط الحرارة المتقدة . لا أدرى ما الذى حدا بى إلى مغادرة أرصفة نيويورك ، والمجئ إلى هذه الدنيا

لقد جمعت فى نيويورك . أمام مكاتب رجال الأعمال الضخمة ، والمجالس المالية ، القسم الأكبر من نفقات البعثة . وعن طريق التليفون والمراسلة جمعت رجالى وأرسلتهم بالباخرة أو الطائرة . كانت البعثة مؤلفة من علماء أمريكين وأوربيين ومن بعض الطلاب ، وكانوا جميعا مستعدين للعمل لقاء أجر زهيد ، أو لقاء لا شئ بالمرة . وكان من ضمن أفرادها العلامة أولبرايت . رئيس مدرسة اللاهوت فى جامعة هوبكنز . وهو فى الستين من عمره . ويتميز بجرأة تكاد تبلغ حد التهور . ولاسمه بين البدو تأثير كبير ، حتى أنه ليقطع وحده أميالا وأميالا فى الصحراء كل يوم لمراقبة أعماله التى تتألف ، بالإضافة إلى العمل المتواصل دون كلل ، من القفز فوق الجدران المتداعية ، رغم الأفاعى والمناكب الخطرة . ومن أعضائها أيضا وليم ترى ، الذى اشتهر بصوره الفوتغرافية أثناء الحرب العالمية الثانية . وشارلس إنج ، رئيس الحفريات عند بدء البعثة بأعمالها ورئيس الآثار فى عدن ، الذى اقتنع وأقنع العلامة أولبرايت بالشروع فى الحفر فى تمنا ، بدلا من أماكن أخرى كان من المحتمل مباشرة الحفر فيها .

والدكتور إسكندر هانيان ، أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة سان أندروز الاسكتلندية ، والدكتور ألبرت جامى ، أستاذ الدراسات الشرقية فى جامعة تونس . والدكتور فريزوهيبرويك الجيولوجى الهولندى ، والدكتور رشارد لى بارون بووين ، العالم الأثرى من أهالى جزيرة رود ، وكنيث براون من طلاب جامعة كاليفورنيا . والسيدة وليم ترى ، المكتشفة العالمية الشهيرة . والدكتور لويس كراوس ، والدكتور جيمس ماكنتيش ، وكلاهما من جامعة ماريلاند ، وقد قاما فى بيحان بالإشراف على صيدليتنا التى نتألف بها قلوب الأهالى . وشارلس ماكاوم من كاليفورنيا ، وهو رئيس مواصلاتنا . وجورج فارير من كاليفورنيا وهو مساعدى . وأوكتاف رومانى ، من نيويورك ، وهو مصورنا الفوتغرافى

يعود الفضل فى إرسال هذه البعثة فى الربيع الماضى إلى بيحان ، ورحلتها التى تزمع القيام بها هذه السنة إلى مؤسسة جديدة ، هى المؤسسة الأميركية لدراسة الإنسان ، التى تم تأسيسها فى العام الماضى بعد تفكير دقيق . لقد أسندت رئاستها إلى بينما تولى نيابة الرئاسة فى أول الأمر العلامة أولبرايت. وتولى إدارتها كل من الأميرال شستر نيمتز ، وصموئيل برابور، ولاول توماس ، وأمير اللواء ماكيزى ، وبايارد كولجيت ، وشارلس ناجر من أهالى نيويورك ، وجيمس موفيت من سان فرانسسكو

وكانت بعثتنا من غير شك مجهزة بالسيارات والمبردات والمحركات الكهربائية والسلاح وما أشبه تجهيزاً لم تنله أى بعثة أخرى . وقد قطعنا نصف الكرة الأرضية حتى ضربنا خيامنا فى بيحان، واستأجرنا ٢٠٠ عربى للقيام بأعمال الحفر وإزالة الرمال . وهنا وبينما كانت القطبان تترقب من يزيح عنها الستار ، جاءنى شارلس ماكاوم ، رئيس مواصلاتنا مسرعا يلقى الى بالحقيقة المرة :

— لقد بحثت فى كل مكان ، ياوندل ، فلم أجد شيئا .

فصرخت وقد أخذ الدم يتجمد فى عروق : لم تجد ماذا ؟

فأجاب : لم اجد سخاخين . لم أجد فؤوسا. لم أجد مقاطف.

ولكننا استطعنا الحصول على حاجاتنا من ذلك من مدينة عدن ومن القرى العربية المختلفة . وكان الحصول على القاطف أعوص ما واجهنا من المشاكل . فقد تحتم حملها ·

وكان الحصول على بقية ما نحتاج إليه من المال أصعب من الحصول على حاجتنا من الأجهزة . لقد كانت سفينتنا فى عرض البحر وعلى ظهرها جميع أفراد البعثة حينما خف إلى نجدتى والاس رشارد ، رئيس أحد المتاحف فى بتسبورغ Pittsburgh ، فبفضل جهوده وافق المتحف على منحنا معونة مالية ، وعلى القيام بعرض مكتشفاتنا من الآثار العربية . وكذلك فإن رونالد هاريمان ، وألن وسارة سكيف ، و هـ . ج . هاينز الثانى ، ولجنة الوصاية على وقف ا . و . ويلون الخيرى والثقافى ، وكثير غيرهم ، قد منحونا مساعدات مالية جزيلة

وأخيرا تسنى لى السفر جوا إلى عدن أنا وجلادس ترى مديرة أعمالنا . ولما وصلنا إلى لندن فى طريقنا إلى عدن زارنا مندوبو الصحف ، فانتزعت جلادس ، الشقراء الفاتنة ، الإعجاب . فقد نشرت لها الدبلى ميل صورة كبيرة ، كتبت تحتها : « أربعة عشر رجلا وفتاة واحدة يبحثون عن ملكة سبأ » ثم استطردت تقول : « فتاة أميركية فى هيئة عارضات الأزياء « المانيكان » ، وعزيمة المصارعين ، تطير إلى دنيا سبأ الضائعة » ثم أردفت تنقل قولى : « لا يدرى أحد ما الذى سنعثر عليه ، فإننا لا نتوقع أن نكتشف بقايا ملكة سبأ وهى جالسة فى حمامها ممسكة بيد الملك سليمان ، ولكننا نأمل أن نجد بقايا جثمانها »

لم يكن لدينا ما يدفعنا على الشك ، كما يشك الكثيرون ، فى حقيقة وجودها . بل يجب أن يثبت البحث الأثرى وجودها عاجلا ، ونأمل أن نكون من البادئين بذلك . فلقد سبق لعلم الآثار أن أثبت أن الملك سليمان تولى الحكم من سنة ٩٦١ إلى سنة ٩٢٢ قبل الميلاد

ما أكثر ما حيك من الخرافات والأوهام حول هذه الملكة التى جاء ذكرها فى سفر الملوك الأول من التوراة : لقد وردت على الملك سليمان، كما تقول التوراة ، «وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيره جدا وحجارة كريمة . لم يأت بعد مثل ذلك الطيب فى الكثرة الذى أعطته ملكة سبأ للملك سليمان . »

إن رحلة ملكة سبأ إلى القدس حوالى سنة ٩٥٠ قبل الميلاد تتفق والتوسع العظيم فى تجارة القوافل فى التاريخ القديم وأغلب الظن أنها قامت بتلك الزيارة بوصفها رئيسة لأغنى وأقوى دولة فى جنوب الجزيرة العربية للعمل على تعزيز طريق البهارات ، كما قامت بها لرؤية الملك سليمان

إن أغلب أشجار الطيب تنمو فى الجنوب الشرقى من حضرموت والعصارات التى تتساقط من جذوع المر واللبان على هيئة دموع متجمدة ، تجمع وتحمل على ظهور الإبل إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط على بعد ٢٠٠٠ ميل تقريبا . كان طريق القوافل يتجه فى العادة غربا عبر الأراضى الحضرمية ، ثم ينحرف نحو الشمال متاخما للساحل الشرقى من البحر الأحمر . وعلينا أن نسلك جانبا من ذلك الطريق ، فى طريقنا إلى وادى بيحان

طرنا من لندن ، أنا وجلادس ، إلى عدن عاصمة المحمية . حيث منيت بموقف عصيب مع حاكمها السر ريجينالد شامبيون . لقد سبق لى القيام بزيارة تمهيدية إلى عدن قبل بضعة أشهر ، عندما كنت أفتش عن موقع من المواقع الأثرية ، فتحصلت فى ذلك الحين من القائم بأعمال الحاكم ، لغياب السر ريجينالد فى إنكلترا ، على إجازة بالذهاب إلى وادى بيحان . لقد كانت كلمات السر ريجينالد الأولى حينما رآنى :

« لو كنت فى عدن حينما جئتها مؤخراً أيها الشاب ، لما سمحت للبعثة بالدخول إليها قطعاً . فهناك كثير من مشاكل السياسة والأمن تكتنف المنطقة التى تود اكتشافها » وتوقف عن الحديث . فتهيأت للكلام ، ولكنه أردف مبتسما :

« وعلى كل فما دمت وجماعتك قد وصلتم فعلى الرحب والسعة »

لم يكن السر ريجينالد متصلبا . فقد تعاون البريطانيون معنا جهد استطاعتهم فأمدونا بخمسة وعشرين عربيا من جنود الحكومة يقودهم أحد الأشداء فى عدن ، وجهزونا بكتاب لشيوخ العرب جميعهم فى الداخل ، يفيد بأن بعثتنا ، ليست عسكرية ولا تجارية ، ولكنها علمية بحتة

للكلام بقية (صوت البحرين) ع . ث

المسلمون بين الشرق والغرب
عند ظهور الاسلام

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٢ —

لقد حل الإسلام عند ظهوره ما كان بين الشرق والغرب من حروب أكرم حل، فلم يرض أن يكون ذيلا لكتلة من الكتلتين المتخاصمتين عند ظهوره، بل وقف منهما موقفا كريما، ودعا كلا منهما إلى ألفة جامعة، وسلام شامل، ليحل الوئام محل الخصام، وتهنأ البشرية بعهد صفاء وسلام، وما كان له أن ينضم إلى إحدى الكتلتين، لأن كلا منهما كان آثما في حربه، لأنه لم يكن يبغي به خيرا لبني الإنسان، وإنما كان يبغي به التحكم والسيادة على العالم، فلم يكن الفرس يبغون من حربهم إلا أن يسود الشعب الفارسي على غيره من الشعوب، ولم يكن الروم يبغون إلا أن يسودوا أيضا على غيرهم، ولم تكن هذه الغاية في شيء مما يدعو إليه الإسلام، لأنه أتى لخير الإنسانية عامة، ولم يكن يسعى في بسط سيادة العرب الذين ظهر أولا بينهم، وكان لهم فضل السبق إلى الإيمان به، وشرف الجهاد في سبيله

وها هو ذا التاريخ يعيد الآن نفسه، وتقوم فيه كتلتان تتنافسان في السيادة على العالم: كتلة شعوب أوربا الشرقية بزعامة روسيا، وكتلة أوربا الغربية بزعامة أمريكا وإنجلترا

وقد كانت ألمانيا قبل هذا تنازع إنجلترا وفرنسا سيادتهما على العالم، وكانت روسيا على عهد قياصرتها تحالف إنجلترا وفرنسا على ألمانيا، وقد قامت في هذا حربان عالميتان كانت ألمانيا تظاهر فيهما على هذه الكتلة المتجمعة عليها، وكانت أمريكا حين ترى إنجلترا توشك أن تنهار تتعصب لها بحكم اتفاقهما في الجنسية، فتحارب ألمانيا بجانبها، وتنصرها عليها بما تملك من مال ورجال

فلما ذهبت ألمانيا من الطريق انتقل الخلاف على السيادة على العالم بين الكتلتين السابقتين، وإذ كان خلافا على هذه السيادة فهو خلاف لا يراد منه خير للإنسانية في مجموعها، وإنما تنظر الكتلة التي تتزعمها روسيا فترى أن أمريكا وإنجلترا وفرنسا قد بسطت سيادتها على العالم، واستولت على كل شيء فيه بسلطانها ورؤوس أموالها، فأخذت تعمل على زعزعة ذلك السلطان القوي، ليحل سلطانها محله، ويكون لها السيادة على العالم بدل أمريكا وإنجلترا وفرنسا، ولما نظرت الكتلة التي تتزعمها أمريكا وإنجلترا إلى ما تحاوله روسيا، قابلتها عداء بعداء، وصارت كل منهما تستعد لحرب الأخرى، وتحاول جر العالم إلى حرب لا يعلم عاقبتها إلا الله تعالى

وكما يعيد التاريخ نفسه مع تينك الكتلتين يعيده أيضا مع المسلمين، فإنهم يقومون الآن فيما وقع فيه العرب بين كتلتي الفرس والروم، تتنازعهم كل من تينك الكتلتين المتنازعتين، وتحاول استخدامهم في تلك الحروب التي لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولا يعود عليهم منها فائدة من الفوائد، وقد وقف المسلمون في الحربين العالميتين السابقتين موقف العرب بين كتلتي الفرس والروم، فحارب فريق منهم بجانب إنجلترا وحلفائها، وحارب فريق منهم بجانب ألمانيا وحلفائها، ولم يكن لهم مصلحة في تينك الحربين، بل كانوا فيها ذيولا لغيرهم، فلم يستفيدوا منهما شيئا لأنفسهم، بل صارت حالهم بعدهما إلى أسوأ مما كانوا عليه قبلهما

ولم يجن عليهم هذا إلا تفرقهم واختلاف كلمتهم، وإلا انقسامهم إلى فريقين يقف كل منهما موقف التابع الذي لا رأى له في الكتلة التي انضم إليها، فكانوا يساقون في كل من تينك الحربين سوق الأنعام، وكانت الحرب تأكل ما تأكل من أنفسهم وأموالهم، فإذا جاء وقت الصلح لم يدع أحد منهم ليجلس مع المصطلحين جنبا لجنب، كما كان يقف بينهم في الحرب جنبا لجنب، بل يتم الصلح على حسابهم، ويتفق المتحاربان على تقسيم بلادهم بينهم، ومن هان على نفسه هان على غيره، كما قال بعض الشعراء:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها
وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فيجب أن ينظر المسلمون الآن إلى موقف الإسلام عند ظهوره بين كتلتي الفرس والروم ، فيقفوا موقفاً كريماً بين كتلتي أوربا الغربية والشرقية ، ويعيدوا موقفه النزيه بين الدولة الفارسية والدولة الرومية ، ويعملوا على تجنيب العالم ويلات الحروب بعد تفاقمها بكل ما في وسعهم ، فيكون موقفهم بين الكتلتين موقف الداعي إلى السلام ، والوسيط الذي يسعى في خير الفريقين ، لينهي ما بينهما من نزاع بالوسائل السلمية ، ويجمع كلمتهما على ما فيه الخير للانسانية ، فإن أمكنه ذلك رفع من شأن نفسه بين الفريقين ، وكسب لبلاده مالا يكسبه بوقوفه ذيلا لهما ، وبانقسامه إلى فريق يؤيد إحدى الكتلتين فيما تريده لنفسها ، وفريق يؤيد الكتلة الثانية فيما تريده أيضاً ، ويبني كل منهما في هذا مصلحة نفسه ، ولا ما يجره هذا الموقف الزرى من هوانه على غيره

لقد جنى المسلمون من تفرقهم في عصرنا على أنفسهم جنايات لا حصر لها ، وقد استفاد كل خصم لهم من تفرقهم مالم يكن ليستفيده لو استعانوا عليه بأتحادهم ، وكان آخر ما جنوه بتفرقهم وأقساه ما حصل لهم في حرب فلسطين ، فقد مكن تفرقهم لفئة قليلة من اليهود أن تنتصر وقد كان النصر منهم قاب قوسين أو أدنى ، فانقلب النصر إلى هزيمة وصارت فلسطين لليهود دون من اختلف عليها من فريقي المسلمين ، ولو أنها كانت لواحد منهم لكان هذا أكرم للاسلام ، وأنفع للمسلمين ، ولكن أين من ينظر إلى هذا منهم وما سيترتب على هذه الشوكة التي وضعت في جنبهم ، ولا يدرى إلا الله عواقبها على دولهم

وأين هم من معاوية بن أبي سفيان ، وقد طمع فيه قيصر الروم ، وأراد أن يستغل فرصة الحرب التي وقعت بينه وبين علي ابن أبي طالب ، فأرسل إليه يطلب منه أن يدفع جزية له ، فلم يكن من معاوية إلا أن أرسل إليه أن يكف عنه ، وإلا اتفق هو وابن عمه عليه ، واجتمعا على حربه ، فكف قيصر عنه ، وكان لهذا الجواب الحازم أثره في نفسه

فقد رأى معاوية في هذا أن علياً أقرب إليه من قيصر ، فإذا طمع قيصر فيه كان علياً على ما بينهما من العداوة أولى بأن يسلم الأمر إليه ، وأحق من قيصر بأن يدخل في حكمه ، لأن قيصر أجنبي : وعلي ابن عمه ، ومن قريش قومه

ولكن معاوية كان معاوية ، ومن لنا اليوم بمثله في عقله وحصافته ؟ ولقد وضع الأمر في نصابه حين وازن بين علي وقيصر ، فأتى به على حقيقته ، ولم يتمسح فيه بما نتمسح به الآن من نزعة دينية ، مع أنه كان أقرب إلى الدين منا ، ولكنه رأى أن الأمر بينه وبين علي لا يعدو أن يكون نزاعاً على الحكم ، ولا علاقة له بأمر الدين

أما نحن فنتخبط اليوم في أمورنا خبط عشواء ، فتحاربنا إنجلترا وفرنسا وغيرهما من أمم أوربا حرباً عنصرية لا دينية ، يراد منها فرض سيادة الغرب على الشرق ، ويجتمع أبناء الشرق من مسلمين ومسيحيين على مقابلة هذه الحرب العنصرية بمثلها ، فيأبى بعضنا إلا أن يجعلها حرباً صليبية ، ولا يبالي بما يحدث هذا في نفوس من يشاركنا في هذه الحرب من إخواننا المسيحيين ، وهم الذين فهموها على حقيقتها ، لأن أوربا طلقت المسيحية من يوم أن نهضت نهضتها ، ففصلت بين السياسة والدين ، وتوجهت إلى الشرق تستعمر أهله على اختلاف مللهم استعماراً سياسيا اقتصاديا ، لا يهمها فيه مسيحية ولا غيرها من الديانات

ومن مصلحة المسلمين أن تفهم حرب أوربا لنا على هذه الحقيقة ، حتى يتفق على مقاومتها أهل الشرق من مسلمين ومسيحيين وغيرهم ، ولا نفتح باباً لأوربا تفرق فيه بيننا تفريقاً دينياً ، وتحاول ضم المسيحيين منا إليها ، لأن حربها لنا حرب صليبية ، وبهذا نكيد لأنفسنا مالا تكيده أوربا لنا

فليكن المسلمين الآن قدوة في سلفهم حين وقعوا في مثل مشاكلهم ، فوقفوا فيها كراماً ، وكان لوقفهم الكريم أثره في نجاحهم .

عبد المتعال الصعيدي

أعتـــــذر إليك ..!

للأستاذ محمود محمد شاكر

أكتب هـذه الكلمة محزون النفس لشيء اجترمته ، كان أولى بي أن أصبر حتى لا أزل عليه . وذلك أني قرأت كلمة في بعض المجلات يقول فيها كاتبها : « فإذا منع الفقير حقه ، فله أن يقاتل عليه ، لأن الله يأمر بقتال الباغين « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله » . ولا شك أن مانع الحق باغ » فاحتملتني العجلة وسوء الظن ، أن أرى الـكاتب قد استدل بالآية في غير مكان الاستدلال بها . فساء قولي في الرجل بين جماعات من النـاس ، إذ لم يقع لي إلا أن الآية في اقتتال طائفتين من المؤمنين ثم بغى إحدى الطائفتين على الأخرى . ولما سكن بي الليل أمس (السبت ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٧١) حاك في قلبي شيء لم أدر ماهو ، وألح على أني ا كتسبت في أيامي هذه إثما أخشى أن لا أفلت من عقابه . وارتفعت أمامي هـذه الآية بختامها « إن الله يحب المقسطين » ، فرأيت من العـدل والقسط أن أرجع إلى تفسيرها ، وإلى أقوال الأئمة في قتال أهل البغي ، فعرفت مالم أكن أعرف ، أن بعضهم قد استدل بها في مثل ما استدل عليه الـكاتب الفاضل ، وإن كان لطريقة الاستدلال عندهم نهج غير نهجه ، وقيد فيما أطلقه . وإذا أنا قد ظلمته ظلما لا ينبغي . فلم أزل منـذ تلك الساعة أستغفر الله لـما فرط مني وما جرى من لساني من الـكلم السيء ، واستغفرت له بما أسأت إليه بظهر الغيب

فلما قرأت الرسالة في صباح ليلتي (الأحـد ١٣ جمادى الآخرة) ، كنت أوشك أن لا أحمـل القلم مرة أخرى للرد على الـكاتب الفاضل في مقاله : « أجل..ذو العقل يشقى » . ولـكني وجـدت السبيل قد تيسر لي أن أعتذر من سيئة ا كتسبتها في الإساءة إلى رجل بظهر الغيب ، لنفس الداء الذي نهيت الأستاذ عنه ، وهو العجلة . وأنا لم أقصد نهيته إلا لما فيه خـير له ولي إن شاء الله

وقد تبين لي بعد قراءة كلمتـه أني أخطأت أيضا في الذي كتبت به إليه ، فوقعت بمـا كتبت في نفس ما نهيته عنه . وما كان أغناني عن هـذه الخصلة السيئة التي تجلب على غضب أستاذ فاضل ، لم أسمع به ولم أعرفه ، ولا أظنه يعرفني . والأستاذ الفاضل بلا ريب هو عندي أكبر مما ظن في نفسه ، وإذا كان هو قادراً على أن يضن بكرامته ، فالواجب على أنا من قبـله أن أضن بكرامته . وإذا كانت كرامته تأبى أن تنزل منـزلة يوجـه إليه من أجلها شيء يقدح فيها ، فأنا أيضـا أنزهه عما ظن في كلامي من « الشتائم والتنقص والسباب » . وإذا كان كلامي الطويل العريض ، كما وصف ، ليس فيـه شيء يقنع المنصفين ، وليس هو إلا فقرات مبعثرة مضطربة أسوقها مسـاقا مهلهلا لا يعرف الدقة ولا الحدود ، وإذا كان كل ما أقوله لا أبغي منه إلا إرسال الـكلام في الهواء ، وإذا كنت عنده لست مؤرخا ، ولم أخط كتابا في التاريخ ، وأني أدخلت نفسي في قوم لست منهم ، فأظن أن واجبه على الأقل أن يلغي كل ما أقول بمرة ، فإن من الشقاء له أن يتعقب كلام كاتب هذا شأنه

وأنا لا أستطيع صادقا أن أفهم الأستـاذ الفاضل شيئا مما أقول، فقد عرفت هذا بالتجربة . وإذا كان مما يرضيه أن أقول له إني مخطيء في كل ما قلت قديما ، وما أقوله الآن ، وما سوف أقوله إلى أن يكف لساني وقلمي عن اللجاجة وإرسال الـكلام ، فأنا أقول له : إني أخطأت ، وسوف أخطيء ، ولن يسمع مني إلا ما أنا مقر على نفسي بأنه خطأ محض . وأزيده أني عاجز كل العجز عن مقاومة حجته ، وعن دفع براهينه ، وعن التصدي لما يحسنه من العلم . بيد أني أعود فأسأله أن يتغمد سوء أدبي بفضله ، وإذا كان قد استخرج من كلامي سبابا وشتائم ، فأنا أعيذه أن يكون غرضا لها ، وأعتذر إليه ، وأستغفر الله مما أزلفت إليه من إساءة ، وله أحسن الأسوة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن بعض السفهاء لم يتورعوا قط عن سبهم والطعن فيهم ، بأقبح اللفظ . فأين يقع مثلي من هؤلاء ! فإني مهما ملكت من السباب والشتائم والبذاءة وسوء الأدب ، فلن أبلغ بعض ما بلغوا من هؤلاء الصحابة ، فلا عليه مني ومن

سبابى وشتائمى . وليعلم الأستاذ الفاضل ، إن كان لا يعلم ، أن هؤلاء السفهاء فى الدنيا كثير ، فإذا كان يغضب لكل سفاهة من سفيه ، فإن شقاءه سيطول بغضبه ، فدع السفهاء وليقولوا ما شاؤا ، وكن أنت ضنينا بكرامتك ، فإنها أعز وأغلى من أن تبذل على الألسنة . وتقبل إن تفضلت عذرى وشكرى واحترامى وتقديرى ، وعجزى عن مخالفتك ، وحبى لرضاك ، وقد بلغت منى فى مقالك ما شئت ، وناصيتى بيدك ، وفى المثل : « ملكت فأسجح » . فافعل مؤيدا منصورا ، والسلام

محمود محمد شاكر

هل من سبيل الى عودة العرب الى مثل الاسلام العليا ؟

للأستاذ خليل الخورى

قرأت جميع المقالات التى نشرت فى العدد الممتاز من مجلة « الرسالة » الغراء ، الصادر فى ٧ يناير . وأعدت قراءتها المرة بعد المرة ، فخرجت من دراستها والتأمل فيها بأمرين خطيرين : الأول : أن الإسلام هو الذى أضرم فى قلوب العرب الجذوة المؤججة من نار الحماسة القومية والروحية ، فبعثهم من صحرائهم واندفعوا فى جميع الجهات وتمكنوا – وهم فئة قليلة – بما كان لهم من الإيمان أوطيد من تدويخ الأقطار والأمصار ، ومن القضاء على الإمبراطوريتين المظيمتين الفارسية والرومانية اللتين كانتا تسيطران على دنيا ذلك الزمان . ولما استكملوا الفتوحات واستتب لهم الأمر ، ساروا فى سبيل الحضارة والعلوم ، فقطعوا فى مضمارها أشواطاً ، بزوا فيها جميع الأولين . والثانى : أن العرب ما تخلفوا عن قافلة الحضارة إلا لما تخلوا – بل لما تخلى زعماؤهم – عن المثل العليا التى فرضها لهم دينهم المظيم مبعث كل حق ومصدر كل عدل ، فتكالبوا على الدنيا وحطامها .

ذانك الأمران حقيقتان لا ريب فيهما : الحقيقة الأولى : تبعث فى نفوسنا شعور الفخر بأجدادنا الغطاريف ، والأمل بأن تعود سيرتهم الأولى فترد شيئاً من مجدنا الضائع . والحقيقة الثانية : تحدث لنا شجناً وحزناً بليغاً ، بل يأساً من هذا التخاذل والزيغ الذى صرنا إليه بسبب هجرتنا لمبادئنا العليا ، بل بسبب مروق زعمائنا وحكامنا من مهيع الهدى ، وسيرهم فى سبيل الضلال والأنانية والأثرة . هذا هو داؤنا الوبيل ، وكلنا نعرفه ونشكو منه ، وكلنا العلماء والجهلاء يعرفون هذا الداء ويصفون الدواء أيضاً ، فيناشدون الزعماء والحكام بأن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ، ويقتدوا ولو اليسير بأجدادنا العظماء فى صدر الإسلام – كأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب – ويروى التاريخ أن أبا بكر دعا ابنته عائشة وهو على فراش الموت وقال لها : « اعلمى يا بنيتى أنى لم آخذ من أموال المسلمين وأفيائهم شيئاً ، وإنما أكلت من جريش طعامهم وارتديت من خشن ثيابهم ، وليس لى من أموالهم سوى هذه القطيفة وهذه البغلة وهذا العبد ، فإذا مت فخذى هذا كله وسلميه إلى عمر » . ثم توفى أبو بكر فأخذت ما أوصى به وسلمته إلى عمر ، فأعتق عمر العبد وأرسل القطيفة إلى بيت المال ، أما البغلة فقال : « أن ركبتيك يا عمر ينبغى أن تحملاك من بيتك إلى دار الحكم » وردها إلى بيت المال ، هكذا كان يفعل حكامنا الأولون

ما السبيل للعود إلى مثل الإسلام العليا ؟ إن السبيل الوحيد هو تولى الصالحين الذين يتقون الله ، المناصب العليا والصغرى فى الدولة ، وتمكينهم من الجلوس على مقاعد النيابة ، فيكون ولاة الأمور وأصحاب البسط والقبض من العلماء والكتاب والفضلاء المعروفين بالتقوى والصلاح والزهد ، والرغبة عن حشد المال وعن الإثراء باستغلال الوظائف

إننا نعلم أن الأمة العربية لا تخلو من الأبرار الصالحين ، والفضلاء المتدينين ، على أن أمثال هؤلاء الأتقياء الشرفاء بعيدون عن الحكم ، وإذا شاؤوا الوصول إليه وحاولوه لفشلوا يقيناً لأنهم لا يملكون وسائله ، وإنما يملك تلك الوسائل أهل السياسة وأهل المال ، وفى معظم الأقطار العربية لا يمكن أن يكون نائباً سوى الغنى

المثرى الذى يستطيع أن يشترى مقعداً فى البرلمان من الزعيم الذى يملك القرى وسكانها ، فيأمرهم باعطاء أصواتهم لذلك الغنى المثرى الذى دفع له الثمن الفادح

من أجل هذا نرى أن الرجل الشريف التقى النقى مقصى عن دوائر الحكم ، لا يستطيع إلا البكاء والتفجع لما يشهد فى تلك الدوائر — فى مقالات يدبجها وفى قصائد ينظمها — يناشد فيها أولئك الحكام أن يعودوا إلى مثل الإسلام العليا ويسلكوا فى أعمالهم المحجة ويحملوا بأيديهم مصباح « ديوجنس » يبحثون بضوئه عن الصالحين المختبئين المنكمشين فى الزوايا ، وينتقونهم لولاية مصالح العباد . ومن سخرية الأقدار أننا نرى أولئك الحكام يشاركونه فى دعوته وفى بكائه وفى شجب الشر والإثم وفى استنكار الخروج على الفضيلة ، وهم ممعنون فى اجتراح الحرب ، لماذا لا يكون المثاليون المتحلون بمكارم الأخلاق من رجال الحكم ، ولماذا لا نرى فى الغالب الحاكمين وكبار أصحاب المناصب ، حتى الصغار إلا من طغمات الانتهازيين والوصوليين ، وإن وجد فى دور الحكم المتنزهون عن المطامع ، فهم نفر قليل

يقول دعاة الشر والخبث إن هذا الجيل جيل فاسد ، وإنه ينبغى لنا أن ننتظر الأجيال القادمة التى يؤمل منها الخير — ألا فقولوا إن هذا الكلام يراد منه التخدير وإلهاء الأمة عن الشرور التى ترتكب — فإن هذا الجيل كغيره من الأجيال ، فيه الصالح وفيه الطالح ، ومن الواجب أن نسعى ونبذل الجهود فى منع الطالحين من تولى مقاليد الأمور ، وفى تمكين الصالحين من الوصول إلى الحكم

ويخيل إلى ولا أرانى بعيداً عن الخطل فيما أتخيل ، أنه لو أتيح لأصحاب المثل العليا من الأتقياء الأنقياء أن يلوا الحكم فى البلدان العربية ، لكانوا نجوماً يقتدى بهم ويهتدى ، ولكانوا ينتقون ذوى الصلاح والتقوى لتقلد الوظائف والمناصب فى الدولة ، ولكانوا اتفقوا على وحدة الأمة ولو اقتضت الوحدة خسران مناصبهم ، ولما كانوا رضوا ببقاء هذه الدويلات الهزيلة السقيمة التى لا وزن لها بين الدول ، والتى هى أقوى الحجج على انحطاط العرب وتخاذلهم فى وجه الأخطار التى تحيق بهم من جميع الجوانب ، ولكانوا انتزعوا السخائم من قلوب العرب ، ولموا شعثهم وجعلوا منهم دولة واحدة موحدة ، فتزول الحواجز والحدود المصطنعة، وتعطى الحرية لتنقل الأشخاص والأشياء فى جميع أراضى الناطقين بالضاد

ولكن كيف يكون ذلك وما السبيل إلى تمكين الأنقياء الحقيقيين من ولاية الأمر فى الدولة ؟ وتمن لى ثلاثة تدابير ينبغى أن تتخذ لمحاولة الوصول إلى تلك الأمنية التى ننشدها :

التدبير الأول : إن معظم الناس يجهلون ما فى الإسلام من المثل العليا ، ويزدرون الدين ويستهترون — ولعل السبب الأكبر فى ذلك هو أنهم لم يربوا التربية الدينية فى طفولتهم ، ولم يتعلموا تعليما دينيا صحيحاً فى المدارس — ويا حبذا لو جعل التعليم الدينى فرضاً فى جميع المدارس العربية وفى جميع مراحل الدراسة حتى الجامعية ، وينتقى لهذا التدريس كبار العلماء المثقفين الشرفاء ، وبهذه الطريقة ترسخ مبادىء الدين العليا فى قلوب الناشئة من البنات والبنين ، وتظل راسخة إذا ظلوا يتلقنون الدراسة فى المعاهد العليا ، وإلا محيت من النفوس ، وينشأون على احترام دينهم وما فيه من أدب للدنيا والدين . ومثل هذه التربية قمينة على العموم أن تجعل الخير غالباً على الشر ، وتخلق فتياناً ذوى تقى ينشرون الفضيلة والحق أينما عملوا ، أفى الحكومة أم فى غيرها

التدبير الثانى : هو تدبير ذو أثر عاجل ، ومؤداه أن يعنى كبار أصحاب المناصب فى الدولة الذين هم من أصحاب المثل العليا ، ووجدوا فى دور الحكم من قبل القضاء والقدر الميمون ، أقصى العناية لاستخدام الذين يخافون الله ، والذين هم شجعان صناديد على الباطل ، جبناء رعاديد على الحق ، فإذا فعلوا ذلك خففوا من وطأة الشر المستفحل

التدبير الثالث : يكون فى جعل الانتخابات للبرلمان حرة إلى أقصى الحدود . إن النظام البرلمانى إنما هو بدعة غربية استوردناها كما استوردنا غيرها من كثير البدع

التى نشأت فى أوربا منذ بضعة قرون ، أخذناها بجميع عجرها وبجرها . وعندى إن صح أن يكون لى « عند » أنه يجب تعديل القوانين الانتخابية فى الأقطار العربية ، بحيث تشمل القواعد الآتيـــة :

القاعدة الأولى : أن تقسم الدولة إلى دوائر انتخابية مستقلة ولا يرشح للانتخاب فى الدائرة إلا أحد أبنائها ، لأنه لا يعرف أدواءها وظلاماتها سوى أبنائها

القاعدة الثانية : أن يلغى نظام القائمة المعمول به فى بعض البلدان العربية ، فإنه نظام فاسد ، ومحصله أن المرشح الذى يفوز فى الانتخاب لا يمثل الدائرة أو الدوائر التى يشملها نفوذ زعيم القائمة ، وإنما هو يمثل الزعيم نفسه ، ويخدم فى المجلس متى وصل إليه مصالح الزعيم ومطامعه ، لا مصالح الأمة

القاعدة الثالثة : أن يرشح الشخص مستقلا منفصلا عن الأحزاب والهيئات والحكومات

القاعدة الرابعة : أن تلغى الدعاوات بشكلها الحاضر المخزى الفاضح ، لأنها تجرد الناخبين من حريتهم فى انتخاب من تلهمهم لانتخابه ضمائرهم ، ولأنه لا يستطيعها سوى أصحاب الأموال الذين ينفقون عليها فاحش المبالغ من الأموال ، فيحرم الشرفاء المخلصون الأتقياء الوصول إلى مقاعد النيابة ، لأن ضآلة أموالهم وأنفتهم وعزتهم تربأ بهم عن القيام بمثل تلك الدعاوات ، وبذلك تحرم الأمة الانتفاع من أبنائها الأبرار ، ويحكمها بهذه الطريقة الأغنياء التجار ، ويسود نظام « البلوتارخية » . تأمل أن فى الدائرة الانتخابية مرشحين ، أحدهما مثر والآخر لا مال له . الأول يقيم الحفلات والمهرجانات يوماً بعد يوم ، يحشد إليها الناس ويغدق عليهم العطايا وأطايب الطعام والشراب والدخان ، والثانى لا يستطيع من ذلك شيئاً (أولا) لقلة ماله و (ثانيا) لأنه يراه شناراً وخزياً . وبمثل هذه الأساليب تصبح مؤهلات النائب الواقعية المال والثراء ، لا العلم والإخلاص ومكارم الأخلاق ، فيا ويلنا مما نحن فيه من الأوصاب التى لن تفضى بنا إلا إلى شر المآب

القاعدة الخامسة : أن يكون عدد النواب أقل ما يمكن ، ويجب أن ينقص النواب فى كل قطر إلى نصف عددهم الحاضر ، ولا يزاد ولو زاد السكان

ويا حبذا لو أنعم كتاب « الرسالة » القراء الروية فى هذه الشجون التى يعانيها العرب أجمعون ، لعلهم يهتدون إلى سبل قويمة لإصلاح النظام القائم إصلاحاً ، يمكن أصحاب المثل العليا من أهل العلم ومكارم الأخلاق من تولى مقاليد الأمور ، ومن الوصول إلى مقاعد النيابة التى هى مصدر السلطات كلها

طرابلس الغرب

خليل الخورى
القاضى فى طرابلس الغرب

شعراء مع أشعارهم

عدي بن زيد العبادي – ٣

للأستاذ محمود عبد العزيز محرم

بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا – الأسباب التي أدت إلى وقيعة النعمان بعدى – شعر عدى بن زيد فيما قدم للنعمان من خير، والصلة بينهما، وأعدائه

وثمة شخص آخر لم أقدمه إليك، وهو عدى بن مرينا، من أشراف الحيرة، وأظنك تذكر أنني حدثتك أن المنذر قد دفع بابنه النعمان إلى عدى بن زيد، ودفع بابنه الأسود إلى بنى مرينا. وبنو مرينا هؤلاء منهم عدى. وعدى بن مرينا لم يعجبه ما فعل عدى بن زيد؛ فقد كان يرى الأسود أفضل وأوفق لأن يكون ملك الحيرة خلفاً لأبيه المنذر، ولكن عدى بن زيد كبته وغلبه على أمره وتدبيره، فاختار كسرى النعمان ولم يختر الأسود.

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة، وأرسل إلى عدى ابن مرينا أن ائتني بمن أحببت فإن لي حاجة، فأتى في ناس فتغدوا في البيعة؛ فقال عدى بن زيد لابن مرينا: يا عدى، إن أحق من عرف الحق ثم لم يلم عليه من كان مثلك، وإني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان، فلا تلمني على شيء كنت على مثله، وأنا لا أحب أن تحقد على شيئاً لو قدرت عليه ركبته، وأنا أحب أن تعطيني من نفسك ما أعطيك من نفسي، فإن نصيبي في هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك. وقام إلى البيعة، فحلف ألا يهجوه أبداً، ولا يبغيه غائلة، ولا يزوى عنه خيراً أبداً. فلما فرغ عدى بن زيد، قام عدى بن مرينا، فحلف مثل يمينه: ألا يزال يهجوه أبداً، ويبغيه الغوائل ما بقى. ثم قال:

ألا أبلغ عديا عن عدى ... فلا تجزع وإن رثت (١) قواكا
هياكلنا تبر لغير فقر ... لتحمد أو يتم بها غناكا
فإن تظفر فلم تظفر حميدا ... وإن تعطب فلا يبعد (٢) سواكا

(١) ضعفت (٢) فلا يهلك

ندمت ندامة الكسعى (٣) لما ... رأت عيناك ما صنعت يداكا

وتقرب عدى بن مرينا من النعمان بالهدايا وغيرها، حتى أصبح من خاصته، وأصبح له بطانة يثق فيهم ويتشيعون له، وكلما عرض ذكر عدى بن زيد دسوا له قليلا أو كثيراً لدى الملك النعمان، وبلغ بهم أن يدسوا على عدى بن زيد أنه يقول إن الملك عامله وأنه هو الذي ولاه ما ولاه

وحقيق بدسيسة كهذه أن تؤتى أكلها؛ فالنعمان ربيب عدى لا شك، وهو صنيعته لا شك، وبيت عدى مناوح لبيت النعمان لا شك؛ إذاً فعدى رجل يخاف ويخشى، وقد يقول مثل ما قال، وهى كلمة ثقيلة على أذن الملوك وإن كانوا يعرفون أنها حق لا مرية فيه

وقد ذكر أن عديا صنع ذات يوم طعاماً للنعمان، وسأله أن يركب إليه ويتغدى عنده هو وأصحابه، فركب النعمان إليه، فاعترضه عدى بن مرينا، فاحتبسه حتى تغدى عنده هو وأصحابه، وشربوا حتى ثملوا. ثم ركب النعمان إلى عدى بن زيد ولا فضل فيه، فأحفظ هذا عديا، وظهرت الكراهة في وجهه، فقام النعمان فركب ورجع إلى منزله؛ فقال عدى بن زيد في ذلك:

أحسبت مجلسنا وحسن حديثنا يودى (٤) بمالك
فالمال والأهلون مصرعة لأمرك أو نكالك
ما تأمرن فينا فأمرك في يمينك أو شمالك (٥)

وعلى هذا فعدى بن زيد هو الذي شبب بهند وتغزل فيها، وهو الذي تزوجها على غير رغبة أبيها، وهو زعم أن الملك عامله وأنه ولاه ما ولاه، ثم أخيراً يعتب على الملك ولا يرضى أن احتبسه أحد رعيته وأخره عنه، حتى يرجع الملك من لدنه غاضبا

وفي يوم شرب النعمان، فأرسل إلى عدى بن زيد فأبى أن يأتيه، ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه، فغضب وأمر بعدى فسحب من منزله حتى انتهى به إليه، فحبسه في الصنين (٦)، ولج في حبسه

(٣) الكسعى رجل من كسع، حى من قيس عيلان، وهو رام رمى بعد ما أظلم الليل عيرا فأصابه، وظن أنه أخطأه، فكسر قوسه، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه، فصار مثلا لكل نادم على فعل فعله

(٤) يذهب به ويفنيه (٥) أنت تحكم فينا كما تحكم في إحدى يديك أو كلتيهما (٦) بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر

وقد مكث عدى فى السجن مدة طويلة . وأرسل أشعاراً تصف ما يلاقيه فى سجنه من أذى وضر ، وأنه ما كان يليق مجازاته بمثل هذا ، وأنه عومل معاملة الأعداء ، مع إخلاصه الملك وتفانيه فى خدمته ، ومع أنه رمى عن الملك ونافح عنه . وذكر فيها مصاهرته الملك وزواجه من أهل بيته . وذكر فيها أنه دبر له حتى فاز بالتاج وملك الحيرة . ولكن الأعـــداء قد قلبوه ، وحلوا محلهم ، وصرعوه

ليت شعرى عن الهمام ويأتيك بخبر (٧) الأنباء عطف السؤال
أين عنا إخطارنا (٨) المال والأنفس إذ ناهدوك يوم (١٠) الحال
ونضالى فى جنبك الناس يرمو ن وأرمى وكلنا غير (١١) آلى
فأصيب الذى تريد بلا غـــش وأربى (١٢) عليهمو وأوالى
ليت أنى أخذت حتفى بكفى ولم ألق ميتة الأقتال (١٣)
محلوا محلهم (١٤) لصرعتنا الما م فقد أوقعوا الرحا (١٥) بالثفال

فهو فى هذه الأبيات يذكر الملك بما قدمه له ، وأنه عرض نفسه وماله المخاطر حين نهض لرد كيد الأعـــداء ، وأنه كان يناضل أعداء أقوياء ، وأنه كان ظافراً بهم ظاهراً عليهم ، ثم يتمنى أن لو كان أخذ حتفه بكفه بدل أن يموت ميتة الأعـداء ، ولكن هؤلاء الأعداء كادوا كيدهم ونجحوا فيه

ثم ها هو ذا عـدى يذكر للملك النعمان دخوله على كسرى يوم أراد أن يختبرهم ويعقد لأحدهم على الحيرة ، وكيف أنه كان يمالئ إخوته بقول ويبطن غيره ، وكيف أنه كان لا يدع خصمه يخالف ويعاند ، وكيف أنه لم ينكل ولم يحجم حين دخل النعمان على كسرى فى هذا اليوم العصيب :

وكنت لزاز (١٦) خصمك لم أعرد (١٧)
وقـد سلكوك (١٨) فى يوم عصيب
أعالنهـــم وأبطن كل ســـر
كما بين اللحاء (١٩) إلى العسيب (٢٠)
فـفزت عليهـــمو لـــا التقينا
بتاجك فوزة القـدح (٢١) الأريب

وهذه أبيات يذكر فيها عدى النعمان بسعيه له وجهاده من أجله ، ويحذره أن يكون كالذى يداوى نفسه ، وبعد أن برئ ، عاد فأوهن نفسه وأمرضها . ومعنى هذا أن للنعمان بعدى قوة ، فلا يضعفن نفسه بحبس عدى أو قتله :

لا تكونن كآسى (٢٢) عظمـــه
بأســا (٢٣) ، حتى إذا العظم جبر
عاد بعد الجـــبر يبغى (٢٤) وهنه
ينحون (٢٥) المشى منه ، فانكسر
واذكر النعمى الـــتى لم أنسها
لك فى السعى ، إذا العبد كفر

وما كان عـدى يتوقع الشر من النعمان ، صهره ، وصديقه ، وشريكه فى السراء والضراء . وإذا كان الشر منه ، فإنه لا يجد له دفعا ، كالشرق بالمـاء ، فإنه لا يجد ما يعتصر به ، لأن الاعتصار يكون بالمـاء ، فإذا شرق الإنسان به ، فإنه يكون قد أتى من حيث يأمن ويرجو السلامة . وعدى صهر النعمان ، وقد كان حماد كاتباً للنعمان الأكبر ، وكان زيد ملكا على الحيرة قبل المنذر :

أبلغ النعمان عنى مألكا (٢٦)
أنه قد طـــال حبسى وانتظارى
لو بغـــير المـاء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى (٢٧)
ليت شعرى عن دخيل (٢٨) يفترى
حيثما أدرك ليـــلى ونهـارى

---

(٧) بحقيقة الأنباء (٨) بذلنا للمال والأنفس (٩) نهضوا (١٠) يوم الكيد (١١) غير مقصر (١٢) أربى : زاد وفاق (١٣) جمع قتل وهو العدو (١٤) كادوا كيدهم
(١٥) الرحا معروفة . الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب ، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا
(١٦) فلان لزاز فلان : لم يدعه يخالف ويعاند فهو قرنه وقاهره
(١٧) أنكل وأحجم وأفر (١٨) أدخلوه

(٩) قعر العود (٢٠) جريد النخل اذا جرد من خوصه (يقول إنه يبطن السر ولا يبوح به كأنه بين العود وقشره) (٢١) القدح يسهم به ، الأريب : الفائز (٢٢) الآسى : المداوى (٢٣) بدواء (٢٤) ضعفه (٢٥) يطلبن (٢٦) رسالة (٢٧) الاعتصار : أن يغص الانسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا (٢٨) عدو

شذرات فى الحياة

« مهنة » الصداقة ..

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

إن ابتناء صاحبى منصرف إلى ضرورة تصوير حقائق الحياة فى ألفاظ ، ومعان ، وعبارات ؛ فقد وقر فى نفسه توقير البيان ، وهمى على وقدة ثورته غيث الفوث مما يعانى من ضيق يشغل باله ، وحزون مضايقات تعقد حزنه !

جاءنى هذه المرة فى تأفيف الضجر ، وهو ينفخ فى موقد غيظه ؛ فحسبت أن أمرا عقيما التاث عليه عقمه ، أو حادثا مفاجئا أذهب باتئاد صبره ، ورأيت التثقيل عليه فى المساءلة قد يدعوه إلى البرم بى ؛ فخففت ولم أستخف ، وما زحته من دون أن أسف. ثم قلت : ماذا دار فى فلك دولتك هذا اليوم ؟

قال وقد لمت فى عينيه بوارق غضب : يحسبك الناس على انطوائك غير بصير لكنك تحب المشاغبة الساكنة ، والإغاظة الساهية ، وترسل القولة معربدة فى حيائها ، وهذا ما يجعلك معقدا فى اعتقادى

قلت : لا يعقد نفسه إلا « البسيط » وأحسبك تعلم أن حر النار قد يكون تحت رمادها ، ولست على ما ترى ، غير أن كثرة التعرف على الطبائع يعطى المرء حاسة الخبرة ، ويوقفه على دقائق النفوس ؛ فالبله أو التباله فيه شئ من الفطنة ، كما أن مدعى الصمم يعرف رأى الناس فيه حينما يهمس الجبن فى أذن النفاق ، وينكشف الواقع من بين صفاقة الإيهام !

قال : كأنك تقر اعتقادى فى أنك داه بدهائك . ؟

قلت : قبح ذو الدهاء المسخر عقله للسخرية من الناس !. وجل ذو الفطنة الذى يفطن إلى الأمور من دون أن يفطن إليه أحد

قال : أما قلت لك : إن تلاعبك باللفظ يستر ألاعيب نفسك ؟

قلت : إن الحياة فى عرف الحكماء ألعوبة ، وعند اللاهين أرجوحة ، ولدى القانمين دمية ، وفى مرأى المخدوعين امرأة حسناء ، وعند الشعراء رجاء مضيع ، ولدى البخيل صديق ودود لا يخون عهده ، ولا يمنع رفده ، ولا يقطع وده !

قال فى سرور ساذج : لقد أتيت بما أردت ؛ فقد دار فى فلك دولتى كما تقول خاطر نحو الصديق ، وقد قالوا : إنه مشتق من الصدق ، وذهب الطيبون من الناس يستطيبون الحديث فى شأنه ويصورونه صورا تخلب اللب ، وتسترق القلب ، حتى يحسب الإنسان أنه حقيقة من الحقائق التى يجب الإيمان بها ، غير أنى لست بمصدق شيئا من ذلك ؛ فالحياة لا تقرنا على ما ندعى ، ووقائع الأمور تنافى دعوانا فى وجود هذا الشيء الذى أطلقوا عليه

قاعداً يكرب نفسى بثها (٢٩)
وحراماً كان سجنى واحتصارى (٣٠)

أجل نعمى ربها أولكم (٣١)
ودنوى كان منكم واصطهارى (٣٢)

نحن كنا — قد علمتم — قبلكم
عمد البيت وأوتاد الإصار (٣٣)

وأنت قد عرفت ما بين عدى بن زيد وعدى بن مرينا من شنآن وبغضاء ، وأن ابن مرينا ناصب ابن زيد العداوة وعالنه بها ، وظل كذلك حتى أفلح فى كيده وشيع خصمه إلى السجن ، وعاش هو فى رغد من العيش وعز وبحبوحة :

ألا من مبلغ النعمان عنى
فبينا المرء أغرب (٣٤) إذ أراحا (٣٥)

أطعت بنى بقيلة فى وثاق (٣٦)
وكنا فى حلوقهم ذباحا (٣٧)

منحتهم الفرات وجانبيه
وتسقينا الأواجن (٣٨) والملاحا (٣٩)

---

(٢٩) يشتد عليها حزنها (٣٠) حبسى (٣١) أحسن الى من أجل نعمى نماها أولكم ورعاها (٣٢) المصاهرة (٣٣) الطنب (الحبل) تشد به الخيمة الى الوتد (٣٤) كثر ماله وحسن حاله (٣٥) مات (٣٦) حبسى واعتقالى (٣٧) وجع فى الحلق (٣٨) جمع آجن وهو الماء المتغير الطعم واللون (٣٩) جمع ملح وهو الماء المالح

للبحث بقية

محمود عبد العزيز محرم

أربعة حروف يمكن الاستعاضة عنها بأربعة آخرها حرف القاف أيضا ... !

قلت : ماذا ؟ .. ماذا .. ؟ ، إنك تضرب في واد بعيد ؛ فإن الرأي وليد المعرفة المستفادة من طبيعة الأمور ؛ فما هي الألفاظ التي تريد استعاضتها حتى تصور حقيقة كلمة «صديق» ؟!

قال : لن يفلت زمام القول مني ؛ لأعلمك مدى تعلق بالحقائق ، وعدم تحلق بالأوهام

قلت : قد يكون الوهم في بعض الأمور تصورا لحقيقة غائبة لكني لا أريدك على ملازمة عقيدتي في تقدير طبائع الأشياء ...

قال : على أية حال ؛ سأعلمك أن الأحرف الأربعة لن تترك مدلولها في ذاتها لكنها لا تتعدى تركيبها إلى إنسان من لحم ودم ؛ فلنقر بأن هناك صورة «لفظية» اسمها «صديق» لكن اللحم والدم مصوران في تصوير لشيء آخر مخيف ، مفظع كئيب لا تود العين أن تقع عليه ...

قلت : أعترف بأن بحثك مشوق، لكني لا أعلم قدر تسميتك لمن نطلق عليه اسم الصديق وهو موضع الأنس ، وأمل الرجاء، وهتفة القلب !

قال — مستضحكا — : كلام شعر ! ، وكم جنى الشعراء على أمثالك ؟

قلت : إنك لعنيف اليوم ، فرفق ورفق !

قال : لعلك بدعوتك إلى رفقي ورفقي تريد إزالة منزلة ما نتوهم أنه «صديق» ؟

قلت : ومن ذا أنت إذن ؟

قال : أنا رجل أستطيب الحديث معك ؛ فأحادثك لأضيع وقتي في أمر ذي بال لأني لست عاشق لعبة النرد أو الورق أو «الشطرنج» !

قلت — معجبا — : تريد القول بأن تعرفك على مصدره «رغبة» في نفسك تريد الإفضاء إلى إحساس مشترك ؟

قال . لقد قاربتني ، وأدنيت شعورك مني ؛ فلولا رغبتي في قضاء وقت معك ما أريتك وجهي

قلت : أو تجابهني بهذا القول ؟ ، أما تعلم أنه موضع إيجامي ؟

قال : قلته لأني لست في منزلة «صديق» !

قلت : وما الذي كنت تسوغه إذا أزلت نفسك منزلته ؟

قال — في تهكم — : أقول : جئت لأطالع طلعتك البهية !!

قلت : وبماذا تطلق على نفسك إذ ذاك ؟

قال : أطلق أربعة أحرف كما قلت ، وسيكون آخرها «القاف» !

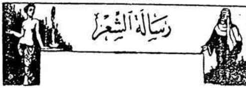
قلت — معجلا — : قل ؟ .. جعلت فداءك ..

قال : «نفاق» !!

أليست كلمة أنيقة ، رشيقة ، دقيقة ؟ ، أليس فيها وقع موسيقي على السمع ؟ لكن ما أقسى وقعها على قلوب الأطهار !

قلت : لقد كان اليوم دورك في هذا البحث الشائق ، لكني أزيد عليه بأن الصداقة غدت «مهنة» ، تسير في ركاب المنافع ، وتنصرف إلى النفاق لتستقر في الأعماق ! ! .

بور سعيد — **أحمد عبد اللطيف بدر**



ربيع بلا أحبة* !..

للاستاذ أنور العطار

عاد الربيع وما عاد الأحباء   لا الزهر زهر ولا الأنداء أنداء
يظل يسألني عنهم بلا سأم   قلب يعيش بهم، والقلب أصداء
كانوا به أمس أشواقا مبرحة   واليوم هم فيه أحلام وأصداء
مات الهوى فيه إلا همس هامسة   لها الأضالع ساحات وأبهاء
فيا ربيع الهوى لا زلت مؤتلقا   يرف فيك الشذا والزهر والماء
لقيت فيك أحبائى وظللنى   من مسرحة الحب أطلال وأفياء
أبيت أرفل فى بشر وفى دعة   ليست تزول، ودنيا الحب فيحاء
إذا الصباح ترأى فى محفته   أغنى صباحى من مرآك أضواء
وإن أطل مسائى واجما فرقا   جلته منك يد للحسن بيضاء
فأنت لى فرحة الدنيا وزينتها   ما عاود العين إصباح وإمساء
وأنت أنت أناشيدى وأخيلتى   وذكرياتى، وأنت البرء والداء

* * *

أطوف بالروض لا عطر ولا نغم   ولا فتون ولا حسن وإغراء
وأنثنى وفؤادى ما يفيق أسى   كأننى دمعة فى الخد حمراء
أطوى جواى وتطوينى لواعجه   ويقتل النفس أوجاع وأدواء
دنياى بعدك أسر مرهق ونوى   ليست تطاق، ودنيا الصدر جرداء
ما فى جوانبها سحر ولا عبق   وإنما هى أوصاف وأسماء
خلت من البشر لا الأرواح تؤنسها   كأنها رمم غبر وأشلاء
يظل آدم فى أرجائها قلقا   يبكى سرابا توارت فيه حواء
أغص بالدمع إما طاف طائفها   كأننى حسرة فى الصدر خرساء

* * *

يا أيها الشعر خلد ذكر من رحلوا   فهم ربيع وأفراح وأشذاء
وناجهم وارعهم فى الترب ما رقدوا   ما غير الحب تفريق وإقصاء
لولاهم ما صبت نفس، ولا صدحت   على أماليدها فى الدوح ورقاء
هم علموا القلب أن يحيا بذكرهم   وماله يوم غابوا عنه أهواء

* * *

يا بؤس للقلب إن عاد الربيع ولم   يعد من الغربة الكبرى الأحباء

أنور العطار

(*) من ديوان « وادى الأحلام » الماثل للطبع

انتظــار

للأستاذ كمال نشأت

نام المساء .. وها أنا وجدى أسامر لهفتى
مترقبا فى غرفتى أصـــداء خطو حبيبتى
ومشـــاعرى نبع يقيده جمود الصخرة
وخواطرى أرجوحة حيرى .. تعذب يقظتى
تهب الظنون فينطفى نجم ينور مهجتى
ويلفنى ليـل .. وتغمرنى ثلوج كـآبتى
وتعود من كهف الشعور .. من المهاوى .. غيرتى
تروى ملاحم حبنا المخضوب .. تروى قصتى
لليل .. للجدران .. للباب السئوم .. لقطتى
لدامعى الخرساء .. للصمت الـكئيب .. لوحدتى
أنا فى دجى الأمل المعذب فى انتظار الجنة
كاب تشردنى الظنون ... ملفع بالحسرة
مترقب .. متوفز الأعصاب .. أشرب لوعتى
وأود لو كانت هنا .. فى ساعدى .. وغرفتى
أشكو لها فتهش حانيـــة لتمسح دمعتى
أشكو لهـا فتجيل كفا محسنا فى جبهتى
أشكو فراغا جائما يقتات حـــلم شبيبتى
ودجى يجـــر على دمى أفراح فجر ميت
وروًى – كأحزان العبيد – تنهدت بسريرتى
وتوثبا يحبو بقلبى باردا كالميـــتة
وتعلة كم صاغها قلب .. أســـير تعلة
فتفربى عنها وساد من أقاعى وحشتى
يا أخت إحساسى .. ويا جرحى السعيد .. تلفتى
أنا فى انتظارك مهجة تهتز فوق الهوة ..!

كمال نشأت

الكتب

فى المحراب «ديوان»

تأليف الأستاذ محمد عثمان الصمدى

للأستاذ محمد رجب البيومى

منذ أكثر من خمس سنوات قرأت فى مجلة « الكاتب المصرى » قصيدة طويلة تحت عنوان « بين المثالية والطبائع البشرية » وقد راقنى منها وضوح الفكرة ، وقوة النسج ، ودقة التحليل ، فاضطررت إلى تكرارها مرات عديدة حتى علق بذهنى كثير من أبياتها ، وأخذت أفتش فى مجلاتنا الأدبية ، عن شعر آخر لكاتبها المبدع فلم أوفق إلى شىء ، حتى وقع فى يدى منذ أسبوع ديوان « فى المحراب » مبدوءاً بهذه القصيدة الفريدة فأخذت أطالعه فى كثير من الشغف والإعجاب ، وشاهدت بين قصائده نظائر عديدة للقصيدة الأولى ، فعلمت أن الينبوع الذى ينحدر منه هذا الشعر الجيد ، دافق جياش لا ينضب له معين ، وأسفت حين علمت أن ديوان « فى المحراب » قد صدر منذ عامين ، وسكتت عنه المجلات الأدبية ، فلم نقرأ له نقداً فى صحيفة ، أو تقريظاً فى مجلة ، مع أننا نطالع فى كل يوم كلمات كثيرة تدور حول دواوين ميتة لا تشبع عقلاء ولاتحيى عاطفة ، وهكذا يرسب الدر فى قاع المحيط ، بينما يتناثر على سطحه الأشلاء والعظام

ومن الخير أن نكشف من المميزات التى تظهر فى شعر الأستاذ الصمدى واضحة بارزة ، وقد يكون أهمها ما نلمسه لدى الشاعر من عمق فى التحليل ، وقوة فى التحليق ، وجزالة محكمة رصينة ، !! وتلك هى الأركان الثلاثة التى ارتقت بديوانه إلى منزلة سامقة تشرفه وتعليه ، ومما يزيد في قيمتها الأدبية أنها تطرد فى سياق واحد ، فلا تتخلف ميزة عن أختيها ، فى قصيدة من قصائد الديوان ، بل تظهر ثلاثتها متجاورات متآخيات !!

وإذا كان الشاعر فى جميع قصائده متشائماً متضايقا ، برماً بما حوله من الناس والأحياء ، فهذا مما لا يؤخذ عليه فى شىء ، لأن لكل إنسان آماله وأحلامه . ومهما أحث السير نحو أهدافه فلن يقرب من مثله وأشواقه ، وهنا تكون الحسرة الموحية بالتشاؤم والقلق لدى أكثر الشعراء ، وقد يكون الحظ التعس مولعاً ببعضهم فيقف له بالمرصاد ، ينغص عيشه ، ويكدر حياته ، وينقله من الخفض الناعم ، إلى الجدب الموحش ويجسم له أشجانه فتصبح أشباحاً قاتمة ، تطوف أمامه موترة بالسواد ، وتظل طيلة ليله عابرة أمام عينيه ، تشرد نومه ، وتهيج بلابله ، !! وصاحب الديوان أحد هؤلاء الرازحين فى ليل من البلابل والشجون ، وتظهر ميزته الأولى فى دقة التحليل وعمق الاستقصاء ، حين يتحدث عن أشجانه ورزاياه !! فيصف لك البوم الذى ينعب فى صدره مولولا ، ويسمعك الصخب الهائج بين الضلوع فى ظلمة الليل وقد سكنت حركة الأحياء والأشياء ، ويريك الأشباح المتواكبة أمامه ، وقد ملأت مسامعه بالزمازم والرعود ، وأسلمته إلى الذكريات البعيدة والقريبة فبعيدها ضعيف الجرس ، خار الأنة ، وقريبها صاخب ملحاح شديد اللوعة والغرام ، والشاعر فى حيرة مقلقة بين القريب والبعيد ، ولن تقف هذه الحيرة أمام شاعريته ، بل أفسحت له مجال الوصف والتحليل فاندفع يقول

يلف الدجي منى مراح بلابل … ومثوى شجون لا تريم جثوم
لها صخب خلف الضلوع مبعثر … فمن ناعب يذكى الأسى وبوم
كأنى ناى فى يد الليل جائش … بما فى الورى من رائع ودميم
إذا أذهب الليل الحياة أعادها … قيامى على أعبائها ولزومى
ألا شد ما أوقرت نفسى بفادح … أنوء به تحت الظلام جسيم
وأشباح ليل ما تنى فى هتافها … أذنت لها من بعد طول وجوم
ففى الشرق منها هاتف بزمازم … وفى الغرب منها هاتف بهزيم
وطورا يشق الليل داع مرزأ … بصوت من البعد السحيق سقيم
له أنة حرى على ضعف جرسها … كأنة مصدوع الفؤاد كليم
وتصخب طورا حين أصغى لهاممأ … فأمسى كأنى فى مناحة بوم
من الطارق الملحاح بابى ، والكرى … يد فى الدجى ألوت بكل نئوم

وكثير من الناس يسهرون الليل ساهمين محزونين يفكرون فى حظوظهم العاثرة ، وسيجدون صورة ما يعتادهم من الشجن والرعب فى هذه الأبيات ، ونظائرها من الديوان ، وكم للنفس

من خلوة رهيبة ، تكتنفها الوحشة ، وترتعد لها الفرائص الصلاب ، ولا فرق بين السير فى غابة رهيبة نائيـــة ، وبين التسرب فى أعماق الشجون ، وتذكر المصائب والويلات ، والحزين من هواجسه فى مأسدة عالية الزئير ، مرتفعة الصياح ، فليس عجبا أن يسمع الشاعر فى وحدته الساكنة ، مناحة البوم ، ورنين الأنات ، ويرى نوائب الأشباح أسرابا خلف أسراب !

وقد استعان الأستاذ الصمدى بخياله الجنح الطائر ، فنظم ملحمة طويلة يصف بها يوم البعث كما ينطبع فى مخيلته ، ولم يشأ أن يصور حلقات سريعة لما يتخيله من الحوادث والوقائع فحسب، بل أراد أن يبرز فلسفته فى الحيـاة والناس فى جـو من الإيحاء والإبهام ، ولم يفارقه تشاؤمه المرير قيد لحظة ، بل ظل يطفر بين سطوره من بيت إلى بيت دون أن يخلد إلى الراحة والاطمئنان ، بل إن الملحمة تدور حوله رائحة غادية !! فحين نفخ إسرافيل فى الصور ، ونهضت الرمم البالية من الأجداث ، وهبت هبوب الدبا فوق المروج والأعشاب ، ودبت الحياة على الأرض من جديد ، حين كان ذلك ، فزعت الملائكة فى السماء ، وجعلوا يتساءلون عن هـــذا البعث فى قلق وإشفاق ؟ كيف حان على غير أهبة ؟ وما مصيره وعقباه ؟ ولأى غاية كان ؟ !! ولجأوا إلى إسرافيل يستفسرون عما صنع من جليل الخطوب حين نقر فى الناقور ، وقد توجسوا الشر إذ أنذرهم ببعث الآدميين من جديد ، وظنوا الأظانين بأبناء حواء ، واندفعوا يقولون فى حسرة وإشفاق

رويدا ملاك الصور ماذا تقوله   أهبوا على الطبع القديم الداير
إذن سوف ينضون السلاح كعهدهم   فلابا على الأخرى غلاب المغاور
فلن يجنحوا للسلم والطبع قائد   يجاذبهم حرص النفوس الغرائر
غرائز غشت تحتها مشرق الحجى   ورانت على الأبصار فوق البصائر
وليس الحجى كالطبائع فيهم مؤصلا   ولـكنه للمرء إحدى المفاخر
مضى الناس طرا ما ألموا بقدسه   سوى نفر منهم قلال عباقر
وسائرهم أسرى الغرائز خطهم   عليهن من مأثوره ـ حظ تاجر

وهذه النظرة الجاحدة للانسان نجد ما يبررها لدى الشاعر من واقع عيشه ، وظروف حيـاته ، فقد نازعه بعض الموسرين منازعة قضائية ، واغتصبوا منه ظلما مالا يجوز أن يقربوه فى شئ ، والتبس الأمر على القضاء فأيدهم بسلطان القانون ، ولم يجد الشاعر غير القريض ينفس به عن ذات صدره، ويبثه تباريحه ومواجعه ، فامتلأ ديوانه بهذه القذائف الصائبات

وقد وفق الأستاذ الصمدى فى ملحمته هذه توفيقا جيدا ، فبرزت ميزته الثانية فى التحليق مع الخيال إلى القمم والأجواز ، فلم يبرز يوم البعث ، دون مقدمة تمهد له وتؤذن به، فالأثير يدوى بأصداء خفاف عوابر، والأفق موحش يتجاوب فيه الصدى تجاوبا مرهوبا ، والسـكون الشامل يدفع الأحشـاء إلى حركة تؤذن بالانفجار ، والأثير يتجاوز الخفق — بعد قليل — إلى الزمجرة والقصف ، والضبـاب يتدجى على الثرى فى تكاثف والتحـام ، والدخان يتنقل مع الريح كالدخان المتصاعد من البواخر العاليات ... والسحاب والسديم والبحار تأخذ فى مرآة الشاعر صورا مهتـاجة فزعة ... نجد هذا كله حين تنصت إلى قوله فى مقدمة ملحمته الجيدة

أذنت إلى خفق الأثير وقد هفا   يدوى بأصداء خفـاف عوابر
وللأفق حولى وحشة أولت الصدى   وضوح شـــهاب عابر فى الدياجر
سكون تكاد النفس توجس خلفه   حشـا مستفزا بانفجار مخاصر
على صفحتيه ما ينى نبض منذر   كنبض سراج فى السموات ساهر
لآنست إرهاصا لأمر مروع   وراء أســارير الأثير المواثر
فلو أن مذياعا يبين ما انطوى   عليه لأجلى موجه عن زماجر
وما هى إلا أن تدجى على الثرى   ضباب إلى غيم على الأفق سائر
وصعدت الأرض الغبـار كأنه   على الريح مذرورا دخان البواخر
هنا السدم قد ذرت ، هنا السحب بعثرت   هنا طافر ينزو إلى جنب طافر

وتمضى القصيدة إلى نهايتها فى هذا السياق الرصين !!

والقارئ يغتبط كثيرا لتآخى الجزالة الرصينة مع الخيـال السابح المحلق ، فى شعر الأستاذ الصمدى ، إذ أن التزام الجزالة يصرف الشاعر غالبا عن سبحاته النائية ، ومهامهه الشاسعة ، ونحن نرى عشاق التحليق والطيران من الشعراء يسرعون إلى مطارحهم النائية ، ويرتقون إلى أجوازهم العالية فى أسلوب لا يرضى عشاق الرصانة والأسر ، فالتعبير مفكك غير متماسك ، والتركيب مضطرب فاتر ، واقرأ ما لدينا من الشعر الحديث فى الملاحم والأساطير ، فلن تجد للرصانة أثرا يرضيك ، بل إنها فى مذهب أصحاب الملاحم ضرب عتيق من التقليد المطلق الذى يتعثر

أن يجد سوقه الرائجة فى هذا الأفق الطليق ، وقد دفعهم إلى هذا الاتهام القاسى ما يجدونه — غالبا … لدى أنصار الجزالة من ضيق فى الثقافة والخيال والتحليل ، إذ أن قصائدهم — فى الأكثر — تضطرب فى نطاق ضئيل من المعانى المتوارثة الشائعة — وإذا جنحوا إلى الابتكار الشائق فلا يتجاوزون حدود الاستعارة والتشبيه ، مما يتعلق بالبيت أو البيتين ، لا أن يعم الابتكار فكرة القصيدة ، وأغراضها وأوزانها ، فتكون له الدقة والطرافة والتوثب ، وقصيدة الشاعر عن يوم البعث محاولة طيبة لتقريب الشقة بين المذهبين المختلفين ، وإن كنا ندعو الأستاذ الصمدى إلى التخلص قليلا من بهارجه اللغوية ، التى تبرز بوضوح فى صفحات ديوانه. فقارئ الشعر لا يصبر على مراجعة الهوامش كقارئ المنطق والفلسفة ، ولكنه يريد فاكهة عذبة مريحة ، يلمس فى يديه نعومتها الشفافة ، ويرى بعينيه صورتها الخلابة ، ويذوق بفمه حلاوتها المشتهاة ، وهذا ما تحول دونه ألفاظ المعاجم ، فى بعض الأحايين ، ومعاذ الأدب أن يفهم القارىء من هذا الرأى أننا نتنكر للجزالة والأسر ، بل نسير . مهما إلى أبعد شوط وأقصاه ، ولكننا لا نراهما فى حاجة إلى الألفاظ الغريبة عن السمع والعين والفؤاد ، وأكثر ما لدينا من شعر الديوان شائق رائق ، قد خلص من الغرابة والإيحاش

وقد لاحظت أن الشاعر — أقر أم لم يقر — متأثر فى بعض قصائده بشاعرية الأستاذ العقاد ، فقد أخذ عنه حبه للتعليل والتدقيق ، ورغبته فى جدله العقلى المترف الذى يندس إلى أغوار الحياة ، فيجد فيها مادة للتفلسف والمقارنة ، وهذا لا يعيب الشعر فى شئ — كما يرى السطحيون — ما دام ملموسا واضحا أمام الذهن البصير ، بل يرفعه إلى مستوى شامخ بتواثب فيه العواطف والعقول ، وقد ظهر فى هذا التأثر فى كثير من قصائد الديوان ، كنجوى الأمل ، وعلى رفات البشرية ، والله والوجود ، وإن لم يلحق الصمدى بأستاذه العقاد فى الدقة والصدق والإقناع ، بل وقف منه عن كثب يطارحه ويحاكيه ، واقرأ دعوة الشاعر إلى خداع النفس ، والهروب من الحقائق ، وتناسى الواقع ، لتلمس الشواهد الدالة على ما ندعيه فى مثل قوله

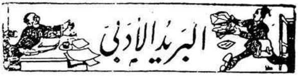
قد ضقت بالحق الصراح   فرن لنفسى بالمراء
والعيش عبء فادح   إن لم يعوه بالطلاء
أحبب بآلك لامعـا   عندى وإن لم ألق ماء
إن كنت لم تنقع صدى   فسواك يغرى بالظماء
حسبى بأنك مالىء   عينى سحرا بالرواء
يا أيها الأمل المنمق   من أفانين الغباء
إنى لقيت بك السعا   دة وهى حظ الأغبياء
لو أن لى لبا لما   آنست فى أفق هباء
أنا لو وثقت بظلمها   فعليك يا عقل العفاء

هذا ، وقد عاش الشاعر فى الريف فخصه بكثير من خواطره ، فهو يصف طبيعته الفاتنة وسحبه وبروقه وغمائمه ، ويشارك أهله ما يجدون من عواطف وأحاسيس ، فيرثى أقطابه وذوى الوجاهة فيه ، ويرسم ألواحا بديعة للجمال المشترك الموزع بين المروج والحسان والغدران ، مما يزين جوانب الريف ويجلو حنادسه التراكمات ، وتعجبنى نظراته الاجتماعية الصادقة ، وخلجاته الإنسانية التى التمعت متوهجة فى آخر قصيدة « من صور الريف » فهو يحدثك عن تعس العقل وشقائه ، حين لا يجد بدا من الخضوع للأوهام والأضاليل ، بعد أن كابد الداء العضال وأعوزه الشفاء عن طريقه الطبيعى للعلاج ، فيلجأ إلى التمائم والرقى والتعاويذ ، على يد أناس جهلة تماسيح !! راميا بآخر سهم فى كنانته ، وذلك قصارى ما يستطيع !!

وجاء شيوخ الحى والكل ناهض   بإبلاله من دائه المتفاقم
وقالوا عليه باللحى لكأنها   لبود ليوث ساء طب الضراغم
ومسوا بأيديهم يديه وأقبلوا   يلوكون بالأفواه رجع المهامم
وقال كبير القوم خذ هذه الرقى   فنطها على اسم الله فوق الجماجم
ونطت بأعلاه ، التمائم والرقى   على سوء ظنى فى الرقى والتمائم
ورب فتى لم يعصم العلم نفسه   فباق بها ضعفا إلى غير عاصم

ولهذه الوثبات الرائعة نظائر متناثرة فى صفحات الديوان ، وقد يجمح بنا اليراع إذا تناولناها ببعض التشخيص فى هذا النطاق الضيق المحدود !!

ولعلى بهذا العرض السريع ، لأبرز عناصر الديوان ، ألفت كثيرا من القراء إلى الاطلاع عليه وتقديره ، وقد يكون إعجابى به دافعا إلى التغاضى عن بعض هناته الطفيفة ، فمن الرضا من كل



النطق بالضاد

قرأت مقال معالى الدكتور محمد رضـــا الشبيبى بعنوان (بين الفصحى ولهجاتها) المنشور فى العدد ٩٧٠ من الرسـالة ، فلفت نظرى ما ذكره من حرف الضاد . فقد قال فى نقده للهجات العامية ، وكيف أنهـــا لا تتبع النطق الفصيح ما نصه : —

« أما فى اللهجة المصرية فيقولون : (اضرب) بفتح الراء مع قلب الضاد دالا » . وذكر معاليه أن هذا نوع من اضطراب النطق وفساده (ص ١٣٠ . الأسطر الأخيرة من الحقل الأول)

والذى أعرفـه أن اللفظ الفصيح لحرف الضاد هو كما يلفظه المصريون وليس كما ننطق به نحن العراقيين . أى أنه يلفظ مثل حرف الدال مضخماً . فقد جاء فى محيط المحيط ما نصه : —

(الضاد هى الحرف الخامس عشر من حروف المبانى ومخرجها من أول حافـة اللسان وما يليها من الأضراس . ولا أخت لها عند سيبويه . وقال صاحب العين هى أحد الأحرف الشجرية . والظاء مخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهى أخت الذال والثاء بالاتفاق ، وتسمى هذه الثلاثة الأحرف اللثوية لأن مبدأها من اللثة . وإتقان الفصل بينها واجب لأن الأئمة المتقنين على أن وضع إحداها موضع الأخرى مفسد للصلاة . قيل الضاد للعرب خاصة وليس له حرف يقابله فى باقى لغـــات الساميين . ويقابله عند الأفرنج حرف الدال فى بعض الأحوال فيلفظ كالظاء)

هـذا ما جاء فى محيط المحيط ، ولولا ضيق المجال لذكرت شواهد أخرى من كتب اللغة تؤيد ما قلت

بغـداد **المحامي يوسف عجاج**

هل يخطئون عامدين ؟ !

إذا كنا نسكت على مضض عن بعض الأخطاء التى يتزلق إليها المتحدثون المفروض فيهم أنهم غـير متخصصين — ولا أقول إخصائيين — فى اللغة العربية ، فقل لى بربك كيف نستطيع السكوت عن أغاليط بعض الأدباء النابهين ؟!

إن أحد الكتاب الأفاضل يكتب تعليقاً على الأنباء ويذيعه قبيل الساعة التاسعة مساء مرة أو مرتين فى كل أسبوع ، وقـد سمعته فى المرة الأولى فكذبت سمعى ، وفى المرة الثانية قلت لعل له عـذراً وأنت تلوم ، وفى المرة الثالثة ظننت أنه يخطىء عامداً لكثرة ما أذهلنى من أخطاء ، فهممت بالكتابة إلى الرسالة الغراء مستغيثاً بها ، ولكن حبى لشخص الكاتب الكبير كان يجعلنى أقدم رجلا وأؤخر أخرى (١) ، حتى إذا نفد صبرى وامتلأت الكأس استخرت الله وبعثت بهذه الصرخة محملا إياها ما علق بذهنى من أخطاء وقعت فى حديث قصير أذكرها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر :

فالخطأ الأول هو أنه نطق بكلمـــة « يكسب » بفتح السين والصحيح الكسر « ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه » . والثانى أنه نطق كلمة « نضجت » بفتح الضاد مع أن كسرها هو الصحيح « كلما نضجت جلودهم بدلنـــاهم جلوداً غيرها » . ولى أن أستطرد فأقول إن استعمال كلمة « نضوج » هو استعمال خاطىء ، والصحيح أن يقال نضج نضجاً على وزن تعب تعبا والاسم النضج على وزن قفل . والثالث أنه قال « فى صبر أبعد ما يكون .. » برفع كلمة « أبعد » والصحيح جرها . والرابع أنه قال « وما أصدق قول ماهر باشا » برفع كلمة قول مع أنها منصوبة

ألست معذوراً — وهذه هى بعض الأخطاء — إذا ظننت أن هـــذا الأديب الكبير وأمثاله الأكرمين إنما يخطئون

عيب كليلة غضيضة ، وحسبى أن أوجه القارىء إلى ديوان لم يسمع عنه ؛ وقد حفل بكثير مما يلذ ويستطاب ، راجيا أن يجد فيه ما وجدت من البراعة والطرافة ، فيستثمر الأنس والمتعة والارتياح ، وذلك شىء له حسابه الدقيق ، وقدره الراجح الموزون !!

أبو تيج **محمود رجب البيومى**

عامدين ؟!

إن مثل هـذه الأخطاء لا يظهر فى المكتوب ، ولهذا فقلما كان يقع نظرى على خطأ فيما كان يكتبه الأديب الكبير بالأهرام وفيما يكتبه الآن بصحيفة أخرى أسبوعية ، أما وقد سمعته فأزعجتنى كثرة أخطائه، ولا أميل — على الرغم من هذا — إلى وقف المذياع كما أفعل ذلك مضطرا فى بعض الأحيان — فإن من حق أن أطالب حضرته بقراءة حديثه قبل إذاعته مثنى وثلاث ورباع ؛ إذ لولا ظرف خاص بفرض على فرضا أن أحب شخصه الكريم حبا جما لتأثر حبى له وإعجابى ؛ إلى حد كبير

عبدالحميد عمر

إلى الأستاذ أبو الفتوح عطيفة

مما لا ريب فيه أن الفترة الدقيقة التى تمر بدول العالم الإسلامى وشعوبه ، تحتم على هذه الدول أن تتجه نحو التكتل ، بعد أن فشلت المنظمات الدولية جميعها فى رفع كابوس الاستعمار الجاثم عليها

فقد فشلت عصبة الأمم من قبل . كما نلمس اليوم فشل هيئة الأمم المتحدة ، ومجلس الأمن ، ومحكمة العدل الدولية ، فى أن تضع حدا لهذا الاستعمار النائم الذى يأبى إلا التهام الشعوب الضعيفة التى لا حول لها ولا قوة ..

الكتلة الإسلامية القوية بجيشها المعد إعدادا كاملا هى التى تستطيع اليوم أن تصون كيان الدول الإسلامية المستضعفة، ولن تكون كتلتنا ضعيفة وفيها أمثال الباكستان . أندونوسيا وإيران ومصر وأفغانستان وتركيا ، بشرط أن تكون لها هيبة الكتلتين : الغربية الديمقراطية . والشرقية الشيوعية . وألا تكون ذيلا لإحداها ..

ومجلة الرسالة الغراء هى مجلة الأدب فى العالم الإسلامى لاالعربى ، والأدب لا يكون بخير فى دول لا عزة لها ولا حرية ولا استقلال ...

فلتحمل زعيمة الأدب رسالة الكتلة الإسلامية إلى العالم الإسلامى ، ولتبدأ رسالتها بتعريف القراء بالدول الإسلامية دولة دولة : حالتها السياسية والاقتصادية وحالة الأدب فيها...

فهى أجدر بالاهتمام من بريطانيا العظمى ، والولايات المتحدة، ولا أعتقد أن زعيمة الأدب ستتوانى فى تبليغ هذه الرسالة ، لأنها جزء مهم من رسالتها . وها نحن أولاء منتظرون

بهجة المنشاوى

سكرتيرة المركز العام لجماعة السيدات المسلمات

مجلة الناشر المصرى

كان الكتاب العربى ينزل فى سوق الأدب حائراً لا يجد من يعرفه تعريفاً موضوعيا منصفا ، إلا بين الحين والحين فى مثل مجلات « الثقافة » و « الهلال » و « المقتطف » و « الكتاب » و « الأديب » البيروتية ، و « المجمع العلمى بدمشق » و « الرسالة » . ولم يكن فى العالم العربى كله مجلة خاصة بالكتب وحدها ، تنقدها وتعرضها عرضاً غير ذى غرض ؛ وتقدمها إلى القارىء العربى أصدق تقديم . وقد لمس « الاتحاد المصرى العام لدور النشر والمكتبات » حاجة القارىء العربى فى كل قطر عربى إلى مجلة خاصة بعرض الكتب والتعريف بها والتقديم لها ، فأصدر مجلة « الناشر المصرى » وأسند رياسة تحريرها إلى الأستاذ محمد عبدالغنى حسن . وقد ظهر العدد الأول من هذه المجلة التى ستصدر كل ثلاثة أشهر محتوياً على مقالات حول الكتب ودوائر المعارف والمخطوطات العربية ، ومشتملا على تعريف دقيق لأكثر من ١٢٠ كتاباً فى أبواب مختلفة من العلم والأدب والتاريخ والتراجم والقصة والفلسفة والاجتماع وغيرها . كما أن فيه إحصاء دقيقاً شاملا للكتب العربية التى ظهرت خلال عام ١٩٥١ المنصرم مع بيان أسماء المؤلفين والناشرين وأثمان الكتب وعدد صفحاتها وقطعها

فنرحب بالزميلة الجديدة ، ونرجو لها التوفيق فى رسالتها الجليلة لخدمة الكتاب العربى والقارىء العربى



من الشارع

للاستاذ أحمد عبد القادر الصاوى

المواكب تمتد . الجماعات تتشابك . الطبول تدق . الغناء يعلو وأنا وحيد .. تتراقص فى ذهنه أخيلة قاتمة ، ورأيت أن أمضى إلى الجموع الحافلة أنصيد اللهو والمتعة ...

وفى مدى دقيقتين توسطت حقل السلوى . وسافرت بين جوانحى تنهدة طويلة . وسال فى وجدانى شعور بالرضى ..

وسارت بى الخطا فى زقاق غير بعيد ، شاهدت كومة مهملة من الخرق ملقاة على الأرض غافلة عما حولها من الضجيج

ومر الشرطى فركلها ليفحصها . وبلغت دهشتى غايتها ، إذ تجمعت الكومة وتحركت — رويدا . وارتفعت ، وشاهدت هلاهيل داخلها إنسان .، أحد أبناء الطريق ممن ينتشرون فيها حاوين كاسدين . وسأله

— أين أبوك ؟

— لا أب لى

— وأمك ؟

— لا أم لى

— أين تبيت ؟

— هنا ! !

ونحاه ، وانطلق متكبرا

وتراجع الغلام إلى مكانه . وتراخى ، وشمله نوم عميق . ووقفت حياله . وثورة من العواطف تجتاحنى

وعبست السماء ، وتلبدت السحب ، وأظلت غمامة ، ودمعت ثم برحت . وأسرعت أوقظه ، فلم يسمع لى . صحت فيه

— قم !

— ليس هذا مكان أحد . لن أقوم

— المطر ينهمر !

— لينهمر ! ليست هذه أول مرة

— قم !

— لا شأن لك بى

اختطفته . فانزعج . فطمأنته

— لا بأس عليك

رمقنى بطرف ساج ثم تبعنى

وخرجت معه عن دائرة الفوضى . وطلبت منه أن يصحبنى فأطاع ..

وكنت أسكن وحدى . فأعددت له فرشا . ونام كما تنام الهرة مستكينة مستسلمة

وأصبح الصباح وا كتشفت أنه أليف وديع . وودعته وغدوت إلى عملى

وعدت ظهرا . وتلألأت فرحة بين جنبى . الحجرات تبتسم ، والأثاث يشرق ، وزجاج النوافذ يضئ . كان الأثاث قد رتب ترتيبا ساذجا ، أقرب إلى التنسيق والنظام

وفركت عينى . وعادتا تتصفحان مرة ثانية قطع الدار . لقد أصبحت قشيبة

وسرت البهجة إلى قلبى باردة ناعمة . . سأدخل حياة جديدة ، جميع نواحيها هدوء واستقرار

وواجهته والضحك يتزاحم على فمه . واستحالت الضحكات كلمات بليغة راقية

ومدحت تصرفه ، وسطعت على فمه ابتسامة ردا على كلمات الإطراء التى امطرته بها

وتناولنا غداءنا وخرجت إلى بعض صحبى . وحملت إليه عند أوبتى ملابس من النوع الرخيص . وتهلل وذهب يستحم

ألف الحياة التى تحيطه . وعامل أشخاصا من الحى تربطنا بهم الحاجة . وأثنوا عليه

وأرسلته إلى السكواء . وعاد عابسا .. وأظهر أكثر من العبوس ، حين قدمت إليه أثواب العامل ليؤديها إليه فقال :

— هذا كثير

فهززت كتفي وقلت :

— وما الحيلة ؟

— أستطيع أن أحتال لك

— وكيف ؟

— اشتر لي مكواة وستري

— لا خبرة لك

— خبرتها هناك

— تهزل ؟

— أجد

وأعجبت كثيرا حين وجدت الأقمصة والبدل ، كأنما صقلتها يد الكواء

ستون قرشا أو تزيد استقرت في جيبي آخر كل شهر . وعالج الغسيل ، ورتق الجوارب ، وطهو الطعام ونجح . وبلغ في نجاحه مدى بعيدا

ولقيته مرة حزينا فاستفسرت فقال :

— احسب معي !

أربعة قروش ومليمان صابون . وقرش وخمسة مليمات خبز . وقرش وثلاثة مليمات شاي ، وقرش وسبعة مليمات زهرة وملح ...

كم مجموعها ؟

— ثمانية قروش وسبعة مليمات

— فاذا كان معي عشرة قروش ، فكم يتبقى ؟

— قرش وثلاثة مليمات

— معي قرش

— لا عليك !

وتلعثم واكفهر

— سأنظم الحساب

— من يعلمك ؟

— أنت

وتبدو الوثبة الثانية ، وأجد أن أحب شيء لدى حين أجلس لألقنه ، وتشربت الاسفنجة الجافة ما ألقيته إليها . ونمت ونمت ، ولم تتشبع ولم تمتلئ

وفي غضون عام أصبح في مستوى طالب الشهادة الابتدائية يكتب بطلاقة وخط أصيلين

وضبط الحساب وضغطه ، فلم يفلت منه مليم ، وتطلعت إلى المكث في بيتي . وارتاح صديقي الصغير إلي ، واتخذني أخا ومرشدا . واستوى الحول ، ووجدت يدي تتحكم في ثلاثين جنيها . مبلغ ضخم ! يا الله !

وازددت حدبا عليه ، وازداد كلفا بي ، والأيام تعدو وتنطلق

وفتاي ينمو نموا مطردا ، ووجهه يتدفق جمالا ، وقوامه يتناسق ويرشق . ولم ألتفت إليه

وحرك فضولي أن صوته كان يرق ، وخشونته كانت ترهف ، والأنوثة كانت تطل من أعضائه وملامحه . وويلاه !

وأخذت المفاجأة طريقها في سرعة

ومضى شهر . وفي خلال الشهر الذي يليه كان يعلو صدره .

وفي الشهر الثالث برز له صدر فتاة ؛ وهو إذ ذاك في الرابعة عشرة ولكنه يحث خطاه إلى النضوج الباكر العاجل . وينتقل من حال إلى نقيضه !

وأثار في كثرة ترددها على الحلاق ليقص لها كالفتيان .

وأثارني أكثر إصرارها على ما هي عليه ، وتمردها على أنوثتها

وتتساقط الأيام ، وتفر الأشهر ، فإذا أنثى كاملة تخرج من ثناياها . ويدور الزمن فيصقلها دورانه ويهذبها . ولا يزال الصقل والتهذيب حتى يخلص إلى تمثال تتوهج الأنوثة الكامنة فيه .

ويكاد الحسن يضطرم على صفحة الوجه الناصع الصغير

يا رحمة الله ساعديني !

واحتاجت إلى ملابس ، فانتقيت لها مجموعة منمقة . إحدى التشكيلات التي تسر الفتيات وتبهجهن

وجاءت فرحة لتفضها . وحدقت في الألوان الزاهية عيناها وفقدت مقاومتها ، وانطلقت إلى الحجرة الأخرى . . تطعن بأظافرها الحشايا وتولول . وذهبت إليها وما دريت أن الكتمان الطويل الذي لفت نفسها به ، سيهتك سريعا . ولكنها أنثى !

ومرت الليالي . وخضعت لرغبة الطبيعة ، فظلت الساعات أمام المرآة تتعطر وتتزين . لمن ؟

وكرهت مسكني ، فقضيت أكثر وقتي خارجه . إن وجودي فيه كان إحدى أماني الشيطان

وتنتظرنى بقلب واجف .. تتلقانى بالحساب العسير . وأنتحل الأسباب فلا تصدق . وتولى وهى تبكى . وتنظرت وتلطفت . واقبلت .. تقول :

— كرهتنى !

— أبدا

— ليتنى فتى !

وتضحك خلال دموعها وتستأنف

— كنت أحببتنى

— أحببتك فى حالتيك

وتسوق بعض طرائفها فى أسلوب هين رفيق

وعدت إلى المنزل يوما عقب عمل شاق. فوجدتها ارتدت ثوبى واحتذت حذائى ، وعقصت شعرها تحت طربوشى . واختطت شاربا ، وواجهتنى . ولم أتمالك أن تضاحكت. ورددت وضحكاتها ترف على وجهها ، فتصبغه لونا زاهيا .. لون المرح والشباب

— أحببتنى الساعة ؟

— وكل ساعة

— ابق معى !

— أبق ؟

— أجل

— أنت فى حجرة ، وأنا فى حجرة

وتعبس بعض الوقت

— ستكون أبعد منك خارجا

— هذا شرطى — وتهمس

— خففه !

— قد خففت !

وأتأفف . وتهز رأسها

— رضيت

وتعبث بأذنى وأصابعى وتهمس

— ألا زات على قسوتك ؟

وأضحك بعد العبوس

وكان دلالها الفطرى ، وحركاتها الغريزية ، وسهولتها الطلقة ، أمورا جديدة على .. فمن حولى كلهم قد أخفتهم الصناعة خلف قناع كثيف

وأنا أقدس الحياة لا كلفة فيها

وانتهى الأمر بأن أحببتها !

وخرجنا معا إلى عرض الطريق

وعلت الدهشة وجوه القوم . وتقولت جهرتهم . ووشاءت الشائمات . ولم يكن هناك بد من قطع ألسنتها .. سأعقـد عليها حالا

وأسررت إليها برغبتى . واستخفها الطرب . وطارت إلى المرآة . وأقبلت ، وكل جارحة فى وجهها تبتسم

— أتراني لك أهلا ؟

واحتواها ذراعاى

واستدعيت المأذون . فأقبل وتساءل

— أين العروس ؟

وأقبلت ترتدى ثوبا بسيطا . وخيل إلى وهى فى بساطتها أنها أبهى فتاة . وسبح قلبى فى بحيرة من السرور

— كم سنك ؟

— لا أعرف !

ودارت بى الدنيا

— ما اسمك ؟

وتعثرت كلماتها . ووقف قلم الشيخ

— أين شهادة ميلادك ؟

— ماذا تقول ؟ لا أفهم !

والتفت إلى الشيخ وقال :

— لا تعرف اسمها ، ولا تعرف سنها . أمر خطير . .

وقام مهرولا لا يلوى على شئ

وظل التمثال الرشيق مبهوتا ، يرى فتتسع عيناه ، وتتهدل شفتاه ، ويحول لونه ، ويتصلب وجهه

ودنوت منها لأواسيها ، لاتنتبه . وأتوسل إليها ، فلا تتكلم .. لا تتكلم مطلقا

وانحدرت إلى صدرى نقمة شديدة على نفسى . فلو أحسنت تصرفى قليلا لتم لى سعادة الروح والجسد . وقد أنشأت بجهلى فراغا هائلا بينى وبين من أحب !

وسارت الأمور سيرا كسيحا

وأخذت الفتاة تذبل وتذوى ، والفتنة تخبو وتنطفىء .

وأحزان الملاك الجميل تتجمع عليه فتثقله . ويهبط قليلا قليلا . يقترب جدا من الأرض

وتراءت فى أحزانها كالبنفسجة الغافية ، بيد أنها فقدت الإغراء والغواية ، لا الشذا ولا العطر

وأنا بشر ! ولى عين ترى ، وأنف تشم

وحدثتنى نفسى بها ، وتجلدت ، ولكن رغبات الجسد تكتسحنى ، مرة أغلبها ، ومرارا لا أستطيع

وعنمت فى إباء وشمخت فى كبرياء

وضقت بنفسى وبها

واهتديت أخيرا إلى حل ، دعوت الطبيب ليقدرسنها ثم سنستوفى الشكل فيما بعد ليتم قرانى بها

وعدت معه إلى المنزل

وطرقت غرفتها ، ولم أنتظر الإذن ودخلت

رباه !

ليست هناك . وبحثت وتقصيت ولا جدوى

وأحسست أن صدرى لا يستطيع أن يحتفظ بقلبى ، فيتهاوى ، وصرخت والألم يتلقفنى ، والأسنة المسمومة تراشقنى

وتأكدت أنى فقدت فتاة لها مميزات لن تتوفر فى سواها

وهبطت على أحداث عصيبة . وسجل قلبى فترات دثرتها ملاءة سوداء . واشتمل الزمان حولى . وتطايرت الدقائق تتناثر كالشرر

وكان كل ما فى المنزل يتسم بطابعها ، فيوقظ فى أعماق أحداثا تومض وتبتسم ثم تتلاق : كيف أنسى ؟

وهجرت المنزل إلى غيره ولكن ذكراها كانت تلاحقنى . إليها وتمايلت

وما زال الزمن يسير بها حتى بعدت .. واختفت وراء الزمان . وما زالت توغل بين طياته حتى ذابت فيه . وانتهى الحلم وصحوت !

وتتابعت السنوات

* * *

وفى ليلة ذهبت إلى المسرح لقضاء السهرة . واحتشدت حول واجهته الأضواء . وأرسلت عينى تقرآن الصور الموزعة على الجدران ، وبينما كنت أقرأ استيقظت على صوت يستجدى . واستدرت رأيت فتاة رثة تستعطفنى

وشعرت أن تماسا خفيا يتصل بين الفتاة وذاكرتى فحدقت فيها . وما برحت أزيل أكوام الماضى حتى بدت لى فى أقصى الذاكرة صورة واضحة جلية .. بدت لى فى قرارتها صورة وديعة مزينة

تلك ضالتى !

وفوجئت الفتاة . وهمت بالهرب . وأسرعت إليها .. وقبضت بيدى على ساعدها . فنزعته بقحة ورعونة وقالت

— ماذا تريد ؟

— أريدك . بحثت كثيرا عنك

— الفارق بيننا كبير

— متقارب

— بل كبير

— تعالى . لا حساب لهذا عندى

— سلبت ما ترجوه منى !

وبدت تشنجات وحشية على شفتيها . وأخذت تتقلص وتنفرج ، فتكتسى هيئة ذئبة ضارية

— دعنى . فأنا نشأت هنا . وسأبقى هنا !

وتراخت يدى . وفجأة نزعت ساعدها منى . وشردت

وانطلقت عيناى وراءها تتبعانها .. شاهدت بقايا حبى ، وهى تتأرجح فى الظلام ، وتمضى طائشة بلا وجهة ، ثم تحول وتتضاءل ثم تختفى

وكان درسا علمتنيه فتاة من الشارع . وكانت عظة ، وكم عظات ملقاة على جانبيه !

سر هناك وتأمل .. ستراها مجسدة أينما سلكت . فى الأزقة والمنعطفات .. فى الطريق العام والميادين . فى كل مكان

أحمد عبد القادر الصاوى

مطبعة الرسالة